جيروم لورانس
روبرت لي

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن

مسرحية

ترجمة: حسن بحري

مسرحيات عالمية

«٤٨١»

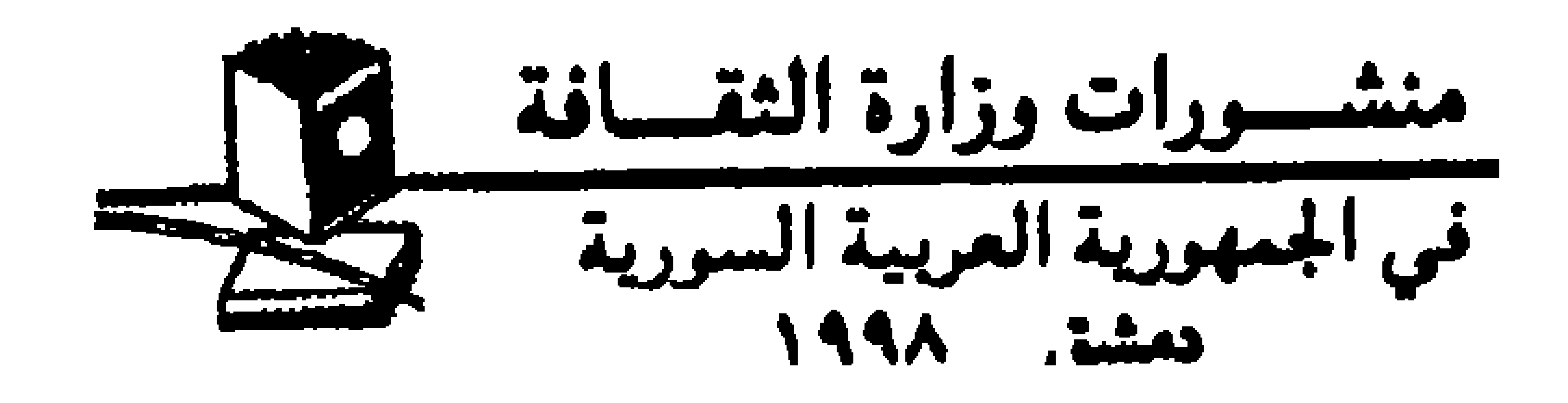


جيروم لورانس
روبرت لي

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن

مسرحية

ترجمة: حسن بحري



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

العنوان الأصلي للكتاب :

"The Night Thoreau Spent In Jail"

By : (Jerome Lawrence and Ropert. E.Le)

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن : مسرحية = The Thoreau Spent in Jail/ تأليف جيروم لورانس، روبرت لي ؛ ترجمة حسن بحري . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . ـ ١٩٩ ص ؛ ٢٠ سم . ـ (مسرحيات عالمية ؛ ٤٨) .

١ ـ ٨٢٢.٢ ل و ر ل ٢ ـ العنوان ٣ ـ العنوان الموازي
٤ ـ لورانس ٥ ـ لي ٦ ـ بحري ٧ ـ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ٨٧ /١١/١٩٩٨

مسرحيات عالمية

« ٤٨ »

المقدمـــة

إن الشـــخصيتين الرئيســـيتين في مســـرحيتنا همـــا الفيلسوفان والشاعران هنري دافيد ثورو ورالف والدو إمرسون ، ولذلك لا بـد أن تكون المقدمـــة حـول الرجلين وحياتهمـــا .

عرفت مدينة كونكورد في إنكلترا نشاطاً فلسفياً وأدبياً ملفتاً في بدايات القرن الماضي . إذ خرج منهـــا عـــدد مـــن الفلاســـفة والشـــعراء دعـــوا بالشعراء الرمزيين والفلاسفة الترنسندنتالين كان من بينهم بطلي مسرحيتنا هذه ، ثـــورو وإمرسون (والدو) ، إن إمرسون هو من وضع أسس هذه الفلسفة هناك ، وتلاحظ بصمات الفلسفات الشرقية علـــى كل ما كتباه . ولفهم خلفيـــة مسرحيتنا هذه (الليلة التي أمضاها ثورو في السجن) لا بد مـــن إلقاء بعض الضوء على بطليها الرئيســـين :

في عام ١٨٠٣ ولـــد رالف والدو إمرسون في بوسطن وظهر اهتمامه بالشرق وفلاسفته . وكان الفضـــل في ذلك

العمته التي أثارت فضوله في هذا الاتجاه ، حيث شكلت هذه الفلسفات أرضية لفلسفته الترانسندنتالية وشعره الرمزي، وذلك لأكثر من سبب : أولهـا عجز إمرسون عـن ضـحد عقلانية القرن الثامن عشر في بلاده هذه العقلانية التي كـان يرفضها مزاجه المثالي . وكانت مدرسة التحليـل النفسي السلوكي للوك والهيوم هي المسيطرة في تلك الحقبة . فلم تكن لتحظى برضاه ولم يجد في الكنيسة الحـل المنشود . فلقد تداعت أرضية الأديان القديمة . وصارت الليبراليـة التوحيدية unitarian liberalism أرثوذكسية عادية وضيقة . نتيجـة ذلك كلـه وجـد إمرسـون في الفلسفة الهندوسية والمتصوفة المسلمين ملاذاً له ومنهلاً لأفكاره .

وفي عام ١٨١٧ في ماسا شوتس في مدينـة كونكورد ولد مريد وتلميذ إمرسون الفيلسوف والشاعر هنري دافيد ثـورو . ولقد تعرف ثورو على إمرسون عام ١٨٣٧ ، كمـا يقول كاتب سـيرة حياتهما وصـديقهما فرانكلين بنيمامين سانبورن . وكان إمرسون هو أول من لفت إنتباه ثورو إلى الشرق وكتاباته وذلك خلال الفترة التي أقامها ثورو في منزل إمرسون عام /١٨٤١/ ونرى ثورو يقول :

« الكم هي مثيرة المشاعر النبيلة في المخطوطات القديمة عند هوميروس وذاندافيستا ، كونفوشيوس ! إنهـا لحـن

موسيقا يحمله لنا نسيم الزمن ... فقيمها النبيلة تقربهـا منا وتجعلنا نصغي إليها . »(١) .

ويصف تأثير الكتب الهندوسية المقدسة عليـه في تلك الفتـرة :

« لا يمكن أن أقرأ جملة واحدة في الكتب الهندوسية دون أن أحلق فوق نجود ghaut . فإيقاع كلماتها كإيقاع رياح الصحراء ، كمد نهر الغانج فهي متعالية على النقد علو جبال الهملايا ... فلا وجود لفكر عظيم في رداء وضيع ، إنها أفكار تسمو باللغة التي ترتديها . »(٢) .

ونرى أن اهتمام ثورو بالشرق وفلسفته جـاء بعـد اهتمام إمرسون . حيث لم يتطلع ثورو على هذه الكنوز خلال سنواته في جامعة هارفورد . « **وعندما امتلك أخيراً حريـة العيش في مكتبة إمرسون ، كان أشـبه بإنسان استبد بـه العطش ووجد واحة عذبة في صحراء »** . وبعد ذلك أمضى العقدين المتبقين من عمره في قراءة هذه الفلسفات والتعليق عليهـا . ويكتب ذات مـرة عـن الفيـدا [**كتب الهندوس المقدسة الأربعة] إن « عبارة واحدة منها [الفيدا] لهي أثمن من ولاية ماساشوتس بمرات كثيرة »**(٣) ، لكنه بالإضافة إلى هذه التعليقات الإنطباعية كتب تعليقات عميقة جداً . فعندما قارن بين الدين والفلسفة العبرية مع دين وفلسفة الهندوس:

قال بأن الأولى « قبلية أشد فظاظة ووحشية » ، في حين تعكس الثانية « رقة ونقاء حضارياً وذهنياً »(٤) ، الحقيقة عند الهندوس « تمرين ذهني ، ليست حقيقة عملية إجتماعية إنها معرفة وليست عمل »(٥) وتكشف لنا مثل هذه التعليقات وسواها مقدار تعلق ثورو بالشرق ومخطوطاته .

كانت تجمع إمرسون وثورو صفات مشتركة ، لكن استعداداتهما الطبيعية وتجاربهما المختلفة قادتها إلى غايات متباينة . فإستشراقية إمرسون تنضح بثيولوجية انتقائية. ونجد عنده مفهوم « **الروح العليا** over-saul » ، وهو مفهوم شمولي عنده ، يربط بين نظرياته في الفن والشعر والسلوك الحياتي . بينما لم يكن ثورو صانع عقائد ، بل كان يبحث عن إدغام نفسه وتوحيدها بشكل كامل مع الطبيعة ، وكان يقارن نفسه بالهندوس . وكانت قراءات إمرسون تهدف المماثلة والتوفيق أو في حدها الأقصى إدخال تعديلات على خطوط مكتشفة ولا يقدم أية انطلاقات جديدة ونلاحظ بصمات الصوفية الإسلامية وفلاسفتها واضحة على تفكير وأعمال كليهما وأبديا إعجابهما بها أكثر من مرة وفي أكثر من موقع .

---

* over-soul **الروح العليا أو الحقيقة المطلقة .**

ونلمس فرقاً واضحاً بين استفادة ثورو الأدبية والفلسفية واستفادة إمرسون من الشرق وكتاباته . فنرى الطبيعة بموجوداتها تستحوذ على ثورو حيث تذكره شجرة الصفصاف متدلية الأغصان في بلاده « **بطبيعة الشرق والحدائق الفارسية وليس بإنكلترا الجديدة** » .

أما بالنسبة لإمرسون فكان عنده استعداد دائم ومزج لطيف للعبارات الهندوسية وسواها مع عباراته . وفي صياغته لعقيدته « **الروح العليا** » فإنه يضعها بموازاة الفيدا . لكنه على صعيد الممارسة كان مسيحياً . وأوجد توليفة بين الطوبى المسيحية والأحدية monism الشرقية عندما قال « **طوبى لذلك اليوم عندما يعرف الشباب أن (في) و (فوق) لهما المعنى نفسه** »(٦) .

ولكن ثورو القارىء النهم للشرق وفلسفاته وجد فيها الكثير ، فكيف لأسلوبه أن لا يكون أسلوباً شعرياً وفلسفياً جميلاً ، إذا كان داخل هذا الرجل المتقد شاعراً ؟

اهتم ثورو أيضاً بالدولة وشؤون الحكم فلم يكن ميالاً مزاجياً لمواقف كونفوشيوس ، لكنه يقول « حتى فيلسوف الصين العظيم كان حكيماً بما فيه الكفاية ليعتبر أن الفرد هو أساس الأمبراطورية » (٧) فقد كان داعية كبيرة للعصيان المدني في حين كان إمرسون وكونفوشيوس من دعاة

الامتثاليـــة Conformity . ولن يذهب أي كونفوشيوسي الى والدن walden حيث اعتكف ثورو . في حين وجـــد إمرسون في كونفوشيوس تسويغاً لسلوكه الحياتي ومواقفه .

وفي الوقت الذي كان ثورو يحتقر العادات المتأنقـــة والأتيكيت والتمسك بالرسميات والشعائر ، نجد إمرسون يحترمها ويتمسك بها .

جمعت بين الادوار الثلاثة التي لعبها شاعر كونكورد ـ ثورو الطبيعي ثورو اليوغي ، وثورو الكونفوشيوســي ـ شخصية إنسانية فريدة تتسم باتساق واستقامة لا تتغير ، وذلك على خلاف إمرسون متعدد الجوانب والتي تأخـــذ كلماته تلاوين أفلاطونية براهماتية وكونفوشيوسية .

ان ثورو رتيب لكنه اتساقي عظيم ، وخلاصة ما أخذه من الهندوس والفرس والصينيين كان حبهم الباطني للطبيعة . ولكي نفهم والدن Walden في فلسفته لابد من العودة إلى فلسفته الحياتية فعندما تكون الحقيقة هي البراهما ـ الروح العليا (الحقيقة المطلقة) ـ والعالم الظاهري كذب ، لا بد أن تكون النهاية المنطقية للحياة هي البحث الحثيث عن تلك الحقيقة . فلم يكن اهتمام ثورو واقع العالم إنمـــا إمكاناته . ولا يشكل الخلاص مسألة قبول حقيقية ، إنما اكتســـاب ونفاذ بصيرة .

ولقد كان إمرسون يحب المدنية أكثر من ثورو . وكانت فلسفته نوع من العالمية والثقافة الإنسانية الشمولية ، بينما كان ثورو مراقباً دقيقاً ، عالماً نباتياً ، رجلاً نباتياً قام بمختلف ضروب الأعمال عند إمرسون الذي بقي طالباً وحالماً وسعيداً بكتبه يحلم بالشعراء والمتصوفة فكان حري به هو – أي إمرسون – وليس ثورو ، الابتعاد عن العالم لتنظيف قنواته المؤدية إلى الروح العليا من جميع مايعيقها . لكننا نرى ثورو هو الذي اعتكف في والدن واعتبر اعتكافه طريقة في الحياة تشكل ممراً أكيداً تجاه معرفة الذات الروحية والواقعية . ويقول عن اعتكافه في والدن « لم يكن الذهاب إلى والدن للعيش برخص أو بغلاء إنما للقيام ببعض أعمالي الخاصة وبأقل قدر ممكن من العوائق »(٨) وكان يردد دوماً « لا يمكن الجمع بين محبة الطبيعة والإنسان ، إنه قانون . فما يقربك من إحداهما يبعدك عن الاخرى »(٩) فالطبيعة هي وجه الله الخارجي عند ثورو .

وكان كلاهما متأثراً بالمعتقدات الدينية عند الهندوس حول الحياة بعد الموت . فالموت بالنسبة لهما تحريراً للقوة الحيوية ، عودة إلى الطبيعة ولذلك كان إيمانهما يتداخل ويتخالط مع المنطق الحتمي عند الهندوس .

وأخيراً لا بد من القول انه لا يمكن إنكار اهتمام ثورو بحياة أهل بلدته سكان كونكورد والمشاكل الصناعية . وكتب يلفت الانتباه إلى آثار العمل الصناعي الشاق على البشر كأفراد . ووجد أن مثل هذا العمل جعل أصابعهم وجلة وخرقاء لا تستطيع قطاف ثمار الحياة للطبيعة . وهؤلاء مرتهنون إلى عمل قاس واهتمامات تافهة وليس لديهم أي فراغ لمكاملة شخصياتهم أو لتدعيم مايسميه ثورو بالعلاقات الانسانية مع الانسان « فالآلة هددت وقضت على قيم الطبيعة الإنسانية » مثلما تموت الزهرة على الثمرة . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن اعتكافه في والدن لم يكن هرباً أو فشلاً في الحياة ومنها إنما على حد تعبيره للعيش كما يجب أن يعيش أي فيلسوف ، وليس بحماقة مثل البشر الآخرين ، بل بحكمة ووفقاً للقوانين الكونية(١٠) .

لقد أخذ ثورو من الشرق الكثير لكنه أعطاه أيضاً . وليس بغريب على مثل هذه الشخصية أن تكون أفكارها دوماً كما يقول ، تخطيطاً ضد الدولة ، وكتب مقالاته المشهورة « العصيان المدني » و « العيش دون مبادىء » وتبنى الماهاتما غاندي ماجاء فيهما وصارت شعاراً لملايين الهندوس .

ويذكر رومان رولاند في كتابه حول الماهاتما غاندي بأن الماهاتما لم يكن يخطط منذ البداية للعصيان المدني ، ولكنه كان يعرف من دراسته المعمقة لثورو واقتبس الكثير منه

وكتب المهاتما في تموز عام ١٩٢٠ في افتتاحية young India « إن ثورو وأمثاله من الرجال هم الذين أحدثوا إلغاء الرق عبر مثلهم الشخصية »(١١) .

ويقول رداً على رسالة من هنري سالت (الكاتب الأول لسيرة ثورو) : « كان تعرفي الاول على كتابات ثورو عام ١٩٠٧ خلال فترة المقاومة السلبية ، أرسل لي أحد الأصدقاء مقالته حول « العصيان المدني » التي تركت عميق الأثر في نفسي ، وقمت بترجمة ونشر قسم منها »(١٢) .

وأخيراً كما يقول روبرت لويس ستيفنسون عن ثورو : « جبلت روحه لمجتمع اكثر نبالة واستنفد في حياته القصيرة إمكانيات العالم فنراه حيثما كانت المعرفة ، الفضيلة والجمال وجد منزلاً له »(١٣) .

● حسن بحري

الهوامش

1 — Thoreau, journal I: 55:

2 — Ibid I-166:

3 — Arthur Ghristy, the orient in American thranscendentalism:

4 — Ibid.

5 — Ibid.

6 — Emerson, qournals III 399.

7 — Thoreau writings IV, 387:

8 — Thoreau journal II, 21:

9 — Thoreau journal II, 40.

10 — Thoreau writings IV 348.

11 — Mahatma Gandhi, young India.

12 — Henrys. Salt- Company Ihave kept 1930 p-100.

13 — Emerson, works, 385.

شخصيات المسرحية

والــدو : رالف والدو إمرسون ، فيلسوف وشاعر .

هنــري : هنري دافيد ثورو ، فيلسوف وشاعر .

ليديــان : زوجــة والــدو .

إدوارد : ابــن والــدو .

الأم : أم هنــري .

جــون : جون دافيد ثورو ، أخ ثورو .

بيــلي : زميل هنري في الزنزانه .

بــول : ديكون نحميا بول ، رئيس إدارة المدرسة .

إيلــين : إيلين سيويل ـ طالبة عند ثورو .

ســـام : سام ستابلز ـ شرطي وجابي الضرائب .

وليمــز : زنجــي كان عبداً وفرّ من سيده .

بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثانوية غير المحددة الأخــرى .

ثـورو الراهـن

لا ينتمي المسجون في مسرحيتنا إلى العصر الذي عاش فيه بقدر انتمائه إلى جيل السبعينات من هذا القرن . نَبذَ هنري دافيد ثورو ، منذ أكثر من قرن ، بوصــفه شخصا غريب الأطوار . فلا أحد تجرأ مثله على مثل هذا التمرد ، وهو المستخدم عند إمرسون ، وعلى التساؤل حول فوائد التقنية ! فما الذي دفعه إلى هذا الموقف ما دام من الواضح لكل متعلم أن التطور التقني والتقدم مترادفان فلخلق عالم أفضل ، ليس علينا سوى جعل الأشياء أكبر أو أسرع أو أقوى أو أرخص .

لكن المادية ليست هي السبيل .

وثورو أدرك ذلك .

لقد اشتم الدخان قبل أن نراه نحن .

ولذع هذا الدخان روحه قبل أن يلذع أعيننا .

صرخ ثورو بكل هذا ، لكن في ذلك الزمن الذي لم يعرف التلفزة، كان سمع الناس بطيئاً . لقد تغنى بالتمرد اللاعنفي، لكن من تابعوا نشيده كانوا قلة قليلة : غاندي ، الكونت تلستوي ومارتن لوثر كينغ .

لقد دفعت ذهنية الحكومة المادية ثورو المتصوف إلى شطآن والدن . وكانت نقمة ثورو شبيهة جداً بنقمة شباب اليوم . فلقد أثار الكذب والدجل ، الذي غطى على الصراع الدموي بين أمته وأمة أصغر هي المكسيك ، سخط ثورو واشمئزازه ، وتظاهر رئيس الولايات المتحدة وقتها «**جيمس بولك**» بمحاولة حل الخلاف على طاولة المفاوضات بعد ذلك توغلت القوات الأمريكية ــ دون موافقة الكونغرس ــ داخل أراضي المكسيك . وحصل تقرير الرئيس الناقص وغير الدقيق (الذي فسّر بصورة واهية على أن ذلك قد نتج بسبب النقص في الاتصالات الألكترونية) على موافقة الكونغرس .

وابتهج دعاة تفوق البيض والصقور في تلك الأيام . إلا أن أوساط المثقفين شهقت مرتعبة .

يشتمل نص المسرحية على استنكار لهذه الحرب اطلقه أحد أعضاء حزب الهويغ * whig الشباب في الكونغرس

(*) الهويغ whig : حزب تشكل عام ١٩٨٤ لمقاومة الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الامريكية .

مـن Illinioir وقد دفع ثمن هـذا الموقف ، حيث لم يُعد إنتخابه ، ولكنه أصبح لاحقاً أول رئيس جمهوري للولايات المتحدة الأمريكية .

قـام عمـلاء أمريكا السريون بتهريب رئيس دميـة للمكسيك من هافانا . أما الشعب المكسيكي ، الذي واجه تفوق آلة الحرب الأمريكية ، فقد قاوم على امتداد الطريق المؤدي إلى مداخل عاصمتهم ، التي لم تسـقط إلا عندما نفدت ذخائرهم : أما في جانب الغزاة فقد كان التوتر شديداً بين مبعوثي البيت الأبيض السريين والكونفرس المسـتنفر والقادة العسكريين الطموحين ـ الذين غدا أحدهم رئيسـاً للولايات المتحدة والآخر رئيساً للكونفدرالية Confederacy .

ولقد أبلغ كابتن في جيش الجنرال وينفلد سكوت بأن القوات الأمريكية مارست همجية فظيعة . كانـوا يطلقون النار على العزل لأسباب تافهة . (فلقد كان سلوكهم ، تجاه السكان البائسين مرعباً وكان دخولهم إلى كل قرية مفزعاً كالمـوت) .

وكتب شاهد عيان آخـر ، يوليس س. غرانت ، في مذكراته : ((**لا أظن ثمة حرب أكثر فظاعة من تلك التي شنتها الولايات المتحدة على المكسيك . كنت أفكر على هذا النحو في ذلك الزمن ، عندما كنت شاباً إلا انه لم تكن لدي الشجاعة**

الأخلاقية لأن استقيل » . واذا ما كان لدى غرانت خيار الإستقالة ، فإنه لم يعد مثل هذا الخيار متاحاً لشبان الحروب اللاحقة .

وكما يقول سانتينا فإن « **اولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم معايشته مرة أخرى »** . ولعل هذه المسرحية تنعش ذاكرتنا ونحن نعيش مرة ثانية ذلك الإحتجاج الشعري لواحد من رجال أمريكا الأكثر تحرراً .

الزمن ملغى في زنزانة السجن هذه . فنحن لسنا واقعين في شَرَكِ الأحداث الماضية بل نهتم بثورو الراهن ـ هذه الروح المتفجرة التي استشرفت مخاطر عصرنا بوضوح وقوة تفوق معظم ما يقدمه الشباب الغاضب الذي يكتب الآن عن زمننا .

ثورو لهو مفارقة آسرة

إنساناً كان ـ وما يزال عملاقاً يمحو ذاته

فطناً ، نادراً ما يضحك

إنسان أحب بكل العمق والكمال حتى بدا فيها

وكأنه لم يحب أبداً .

جيروم لورنس

روبرت بي . لي

ـ الفصل الأول ـ

« في وسط المسرح ثمة ما يوحي بزنزانة سجن : سريران خفيفان بسيطان : كرسي ، صندوق خشبي يستخدم بمثابة درج للملابس . نافذة متخيلة عند مقدمة المسرح تطل على ساحة كونكورد . يمتد بروز (لسان) الى الامام دون أن يحيط به من الجانبين مكان للتمثيل . الزنزانة نفسها في حالة فوضى .

باب الزنزانة ، المتخيل ، وسط مؤخرة المسرح .

السماء فوق ساحة كونكورد تشكل محيط الزنزانة . وثمة أصوات بعيدة لطير ليلي . وعلى السريرين رجلان يرقدان دون حراك . أشعة القمر المخططة تسقط عبر قضبان السجن على هنري ، اما الرجل الآخر فيرقد في الظل على السرير الثاني .

في ضوء شتائي واهن ، لا علاقة له بالزنزانة ، يدخل رجل عجوز مستنداً على ذراع زوجته . يمشي بانتصاب

مفتعل ، مستخدماً مظلته بمثابة عكاز . الزوجة ارستقراطية انيقة . يحمل العجوز شالاً على كتفيه . ولفاح حول رقبته . يقف)) .

والدو : **((فجاة ، كما لو ان احداً سرق منه حافظة نقوده)) .**

ما أسمه ؟

ليديان : اسم من ؟

والدو : لقد نسيت اسم أعز صديق عندي !

ليديان : هل كان لديك يوماً صديق عزيز ؟

والدو : الصبي . الذي ألبس الدجاجات قفازات .

ليديان : هنري ؟

والدو : **((بشكل مبهم)) .**

أظن دائماً أن أسمه دافيد .

((تسلط الاضاءة على أم هنري وهي تدخل الى منطقة اخرى من المسرح بعيدة ايضاً عن الزنزانة حزينة تكوم شعرها الاشعث فوق راسها)) .

الأم : دافيد هنري ! أين ذهبت ومـاذا فعلت ؟

« ينهض هنري عن السرير عمره ٢٩ عاماً ، حليق نظيف ، عيون براقة وثياب نظيفة لونها بلون الغابة . إنه شاب حاد المزاج ذو قناعات عنيفة وفردانية مدمرة » .

هنري : لم اذهب لمكان ولم افعـل شيئاً . لم أفعـل أي شيء .

الأم : آه يا للسماء !

« تبتعد الأم عن خشبة المسرح » .

لويزا ! دافيد هنري ذهب ولم يفعل شيئاً مرة ثانيـة .

هنـري : **« مصححاً » .**

هنري دافيد

الأم : دافيد هنري . تبدو غريب الأطوار مرة أخرى

والـدو : **« من بعد » .**

كان غريب الأطوار وكنت أجد صعوبة في فهمه .

ايديان : احيانا .

الأم : احيانا لا اعرف من انت .

هنــري : انا نفسي ، يا أمي .

هنــري : انا نفسي ، يا أمي .

« ينهض ويجلس على حافة السرير » .

ان لم أكن أنا أنا ، فمن سأكون ؟

الأم : عندما جرى تعميدك ، قالوا لك من تكون .

هنــري : لم أستمع اليهم .

الأم : عند تنصيرك لم تصرخ أبداً ولا مرة . قال ريبلي الجليل من الغريب أن لا يبكي طفل عند تنصيره .

هنــري : اتعتقدين أنني كنت أدري ما كانوا يفعلونه بي ؟

الأم : لا أعتقد .

هنري : لذلك لم ابك .

والــدو : كان أشد السعداء حزناً .

ليديان : اعتقد كان أشد الحزانى سعادة .

والــدو : كان يعمل أيام الآحاد ، ويرتاح بقية الأسبوع .

« يحدق في مظلته ويقول بحيرة » .

لمـن هذه ؟

ليديان : إنها مظلتك .

والــدو : آه ، أجل .

« يتفحصها بشوق ، كما لو كانت صديقاً قديماً فقـده » .

نعم ، إنها . . . أوه . . . إنها . . .

« لكن ينسى كلمة مظلة من جديد » .

نعـم .

« تساعد ليديان والدو المشوش الذهن ، بينما تبتعد الإضاءة عنهما » .

الأم : لا مانع أن تكون مميزاً . الكن هـل كان عليك ، يا دافيد هنري ، أن ترتكز على ذلك إلى هـذا الحـد ؟

هنري : هنري دافيد .

الأم : لو علدنا بكل شـيء إلـى الوراء . كيف تعلمت الاحرف ؟

هنـري : هل من الضروري أن تبدأ احرف الهجاء بالحرف A ؟ (**ينهض واقفاً** .) لماذا لا تبدأ بحرف Z ؟ حرف Z إجتماعي جداً . يشبه طريق إنسان تائه في الغابة . بينما حرف A مربئط وصلب .
A هو بيت . أفضّل S-T U-V-W-X-Y-Z-Z .
« ويسير في طريق متعرج خارج من الزنزانة الى اللسان »

الأم : آه ، يا عزيزي !

هنـري : أو أخلطها معاً . انبدأ ب H . لنبدأ ب Q .
« والدو ، اصغر سناً وبقامة اكثر انتصابا ، يتحرك باتجاه المقرا حيث يسلط الضـوء على وجهه فيتوهج وكان نوعاً آخر من الإشـعاع الداخلي يصـدر عنه . لقد وصل الى ذروة خطابـه . »

والدو : **« مشدداً »**
لا تكن مطيعاً مذعناً .

« يرى هنري والدو ، ينزل علــى ركبتيه ثم يجلس القرفصاء كمريــد معجب عنــد قدمي صنم . »

هنري : « كما لو انه يسجل الوصية في الذاكرة » .
(لا تكن .. مطيعاً ... مذعناً ... !)
« يدخل جون، يقف بجانب امه المضطربة كلاهما ينظران الى هنري ، بينما يجلس في ثبات كانه لاعب يوغا ، محدقاً في الفراغ أمامه » .
« جون اطول من اخيه ـ انيس واجتماعي . يتحرك جون برشاقــة ومرونــة ، على خلاف الحركات الموتورة والمفاجئة لأخيه الأكبر »

الأم : هل تدري مــا هي مشكلة دافيــد هنري ، يا جون ؟

جــون : ما هي ؟

الأم : إنه مستمر في رفض الطاعة والإذعان !

جــون : « يهز كتفيه باستهجان . »
يا للجحيم ، لقد ذهب الى هارفارد .

الأم : « **بانزعاج .** »

لا تقل أبداً ...

جـون : هارفارد ؟ آسف ، يا أمي ، لن أقولها ثانية .

« **تغادر الأم ، يتمشى ببطء تجاه أخيه ، الذي لا يزال يجلس متحجراً . ينظر الى هنري بشيء من الدهشة** »

انظروا الى هذا النوع النادر .

والـدو : « **لا يزال التألق الحيوي على وجهه** »

ثمة أمر لا متناه في الانسان الخاص ! وإذا ما استطاع انسان مفرد التغلب على غرائزه على نحو صارم ، وثابر على ذلك فان العالم كله سوف يسير وراءه ..

« **تبتعد الإضاءة عن والدو وهو يخرج . وتتركز الإضاءة على هنري وجون ـ كهرمان الحقول المشمسة .** »

هنـري : « **لا يزال مقرفصاً ، يحادث نفسه** »

... ويثابر على ذلك !

« **يدور جون حول هنري ممازحاً ، كما لو انه يتفحص عينة ما** »

جـون : هم ! هل هذا بري أم داجن ؟ بري ، كما أظن . معروف بترنده على الغابة والبرك . ريشة بليـدة ، ولكنه طـير حكيم . شيء ما أمريكاني أو ما شابه . وجدتها ! إنها نوع ــ الاخ !!!

« **قطعت هنا المزاح حالة الوجـد عند هنري . ويقفز واقفاً .** »

هنـري : « **معانقاً أخاه** »

جـون :

جـون : أهلا بالعائد . كيف حال دماغك المحشو .

هنـري : نسيت كل شيء .

جـون : على الأقل حصلت على الدبلوم ! .

هنـري : لا ، لم أحصل على الدبلوم !

جـون : ولم لا ؟

هنـري : يطلبون دفع دولار . وأنا أرفض دفعه .

جـون : لكن فكر كم ستسعد أمك بذلك ــ دبلوم مــن هارفارد ، معلق في إطار على الحائط .

هنـــري : لندع كل خروف يحافظ على جلده .

((يدفعه جون دفعـــة استخفاف على كتفه ، ويتصارعان كصبيين ثم يجلسان بجانب بعضهما مقطوعي الأنفاس .))

يا جون ، لقد تعلمت من رجل واحد ــ مع أنه ليس أستاذاً ــ أكثر مما تعلمت خلال السنوات الأربـــع التي قضيتهـــا في التبطـــل الأكاديمي والشخير في كامبريدج . والأغرب من ذلك ــ إنه ليس بشخص غريب . كنت أعرفه وأراه . وأنت تعرف . تسير الى جانبه في الشارع ، تبادلـــه التحية ، إنـــه انسان ، جار مثل كل الجيران . لكن ما أن يتحدث هذا الرجل حتى يخيم الصمت فوق هارفارد بأكملها . فثمـــة نور يشع منه ــ يصدر عن وجهه . لكنه ليس بنور رجل واحد . أقسم ، يا جون ، أنه نور البشرية بأكملها !

جـــون : ((**باستهزاء**))

صنـــم !

((يضرب هنري براحة يده على الارض))

هنـــري : هل هذه هي الأرض ؟

جـون : آمل ذلك .

هنـري : « ينهض ببطء ويقف على قدميه »
لا . هـذه أنـت . وأنـا . والله . والسيد إمرسون . والعقل الكوني .

جـون : والخالة لويزا ؟

هنـري : نعم ، الخالة لويزا . أيضاً ـ طقم الأسنان وكل شيء .
« هارشاً راسه »
ليس من السهل أن نتخيل الخالة لويزا ،تسبح في درب اللبانة . لكن هذه هي حال الأمور ، وانا واثق من ذلك .

جـون : وإذا لم تقدر على البقاء طافية هناك ، تستطيع أنت الغوص وإنقاذها !
« يضحكـان ينهض جون ، يتكلم بمزيد مـن الجدية »
بعد أن أدرت ظهرك لهارفارد ، ماذا تنوي أن تفعل ؟

هنـري : « متمشياً بخطوات موزونة »

حسناً أعتقد أنني بحاجة لفترة من التفكير .
سوف أترك الكلية !

جـون : لكن ماذا تريد أن تصير ؟ وهل لديك أدنى فكرة عن ذلك ؟

هنـري : نعم ، أعرف بدقة . أريد أن أصير شبيهاً لرالف والدو إمرسون بقدر ما أستطيع .

« ينظر الأخوان أحدهما الى الآخر بجدية . تبتعد الإضاءة عنهما . تسقط الإضاءة علـى والدو وليديان . يظهر والدو بقامة شاب لكنه يبدو مرتبكاً بينما يقلب صفحات مخطوط . »

ليديان : كانت محاضراتك رائعة ، يا عزيزي .

والدو : أعتقد اني قرأت أحد المقاطع مرتين . وفي لحظة ما ضيعت أين وصلت .

ليديان : لم يلاحظ أحد ذلك ، يا عزيزي .

والدو : إن لم يلاحظ أحد ذلك ، يعني ذلك أنّ أحداً لـم يكن ينصغي إليّ .

ليديان : لا بد أنهم ظنوك فعلت ذلك بقصد التوكيد .
« ينظر والدو الى زوجته بريبة . ثمة شخير

قادم من السرير الآخر في الزنزانة . يعود هنري ، خلال المحادثة بين ليديان ووالدو ، الى سريره في الزنزانة ») .

والدو : ((**يتحرك ثم يلتفت الى زوجته**))
هل شاهدت ذلك الشخص ؟ في الصف الثالث ؟
كان مغمض العينين ألا تعتقدين أنه كان نائماً ؟

ليديان : كان يركز ، يا عزيزي .
((مطمئناً قليلاً ، يخرج والدو مع زوجته . يتصاعد الشخير بينما يزداد ضوء القمر سطوعاً في الزنزانة . يجلس هنري في سريره ، ينظر الى زميله النائم .))

هنري : ((**بلطف**))
يا صديقي ....
((يشخر زميله في السجن ، ويفيق كما السكران .))

السرير الآخر : ها ها ؟ لماذا ... ؟

هنري : يمتلك كل كائن بشري الحق بالشخير . شريطة أن لا يتعارض مع حق الناس الآخرين القطعي بالشخير .

« يحدق الرجل على السرير الآخر به »
لم أستطع سماع ما كان يجري .

السرير الآخر : لا شيء يجري هنا . الوقت منتصف الليل .
سيطلع النهار . ويعود الليل من جديد .
والفرق ليس بكبير .

هنري : صمتاً !
« هنري يُصغي بكل كيانه . ثمة صوت بعيد لطائر ليلي »
هل سمعت ذلك ؟
« يقترب من النافذة التخيلية عند مقدمة المسرح »

السرير الآخر : **« بيلي »**
لا أسمع شيئاً . طير لا غير .

هنري : **« بامتعاض »**
« طير ولا غير ! » وهل تستطيع البكاء مثله ؟
أو أن تقتات على الأزهار ؟ أو تحمل السماء على جناحيك ؟ يا صديقي ، أنت وأنا يا صديقي لا نستطيع حتى الطيران .
« توقف قصير . يفرك بيلي عينيه . »

بيلـي : ((مفمغماً))
فاتني شيء من حديثك . أعتقد أنني لم أستيقظ تمامـاً .

هنـري : ((يمعن النظر فيه))
لا أحد مستيقظ تماماً . وإذا قابلتُ في يوم من الأيـام إنساناً مستيقظاً بشكل تـام . كيف أستطيع النظر في عينيه ؟

بيلـي : مـاذا فعلت حتى سجنوك .

هنـري : ومـاذا تظن ؟

بيلـي : حسنٌ .. إن شخصاً مثقفاً مثلك ــ لا يمكن أن يكون قد ارتكب شيئاً صغيراً . على الأرجح قاتل أو أسوأ .

هنـري : هذا ما فعلت ، تحت أضوائهم ، في الخارج هناك في الظلام : قاتل أو أسوأ .
((مغيراً لهجتـه))
أنا هنا لأنني أرفض القتل .

بيلـي : ومن أرادوك أن تقتل ؟

هنـري : المكسيك .

بيلـي : من هو ؟

هنـري : هناك ، حيث الحرب قائمة .

بيلـي : أيـة حرب ؟

هنـري : **« يسير يخطى بطيئة ، منهولاً »**
يا صديقي ، قد تكون هـذه الزنزانة المكـان
ألوحيد الذي ينعم بالسلام في الولايات المتحدة .

بيلـي : من يحارب من ؟

هنـري : أنا لا أحارب أحداً .

بيلـي : ولا أنا .

هنـري : ولكن لدينا رئيس خـرج وأعلن حرباً بنفسه
– دون أيـة مساعدة من الكونغرس أو أيـة
مساعدة مني .

بيلـي : لأول مرة أسمع بذلك .
« يحذو »

مع من أنت ؟

« مشيراً بثبات الى مقدمة المسرح ، تجاه كونكورد . »

هل أنت ضدهم ؟

هنري : **« يفكر »** .

أنا واحد مني .

بيلي : هذا كلام ليس له معنى .

« بعيداً ثمة صراخ لطائر آخر يشبه بكاء المحروم . يتقدم هنري مرة اخرى إلى النافذة التخيلية في مقدمة المسرح » .

هنري : هل تسمع ذلك البكاء ؟ صديق قديم لي . إنه طير ليلي .

الا يجب أن يرى أين ذاهب ــ أو ربما يستطيع رؤية ما نحن غير قادرين على رؤية أو سماع . .

« يصرخ الطائر من جديد ينظر بيلي إلى هنري كما لو انه شبه معتوه » .

يتوجه إلى البركة . هل صادفت مجنوناً في يوم من الأيام ؟

« ثمة توقف قصير »

بيلـي : لا ، ليس حتى الليلة .

هنـري : في اية لحظة تسمع من رجل يصفونه بالجنون تذكر فقط أن هذه الصفة هي إطراء عظيم للجنون . لا يشعل الجنون حرباً ، حكومته مثالية ، كونها غير موجودة . إنه أفضل صياد سمك في العالم ويسيطر سيطرة تامة على حواسه ، شكراً لك .
« لايزال بيلي غير واثق بشأن زميله الجديد في الزنزانة »
لماذا أنت هنا ، يا صديقي ؟

بيلـي : أنتظر المحاكمة .

هنـري : ماذا فعلت ؟

بيلـي : لاشيء .

هنـري : وماذا يقولون أنك فعلت ؟

بيـلي : **« يتذمر »** .
بأنني أحرقت حظيرة
« بتحد »

لكن لم أفعل ذلك . كل مافعلت أنني تسللت إلى داخلها لآخذ إغفاءة هناك وأظن بعض الشرر قد تساقط من غليوني على القش و..

هنـري : أخبرتهم بذلك !

بيلـي : وقت الإخبار هو المحاكمة . وهنا ما انتظره منذ ثلاثة أشهر

هنـري : **« وقف في سورة غضب »** .
أقفل عليك هنا لثلاثة أشهر كاملة ، بانتظار فرصة لتقول أنك بريء .

بيلـي : هذه هي الحال .

هنـري : فظيع !
« منادياً »
سام ستابلز ! ستابلز !
« يوقفه بيلي عن الصراخ » .

بيلـي : لا تصرخ. أنا لست مثيراً للشغب. لا أريد سوى كسب قوتي ، تحصيل بعض النقود لتبغي ، وأستمر .

هنـــري : ((أستمر)) هذه الكلمات تقلب معدتي . ياســـد
ـ ما اسمك ؟

بيلـــي : بيلي .

((يعتبر احد الأشخاص ساحة القرية بشكـل
مغرور . ويصغي هنري بحذاقة حيوان)) .

هنـــري : يا سيد بيلي ، اصغي ! ماذا تسمع ؟

بيلـــي : لاشيء .. سوى وقع خطوات .

هنـــري : وقع خطوات من ؟

بيلـــي : اعتقد خطوات رجل ما .

هنـــري : اين يسير .

بيلـــي : كيف لي ان اعرف ؟

هنـــري : انا اعرف إلى أين يذهب . إنه ذاهب حيث يفترض
به الذهـــاب . وبذلك يستطيع أن يكـــون حيث
يفترض بـــه أن يكـــون وفي الزمن الذي يفترض
به أن يكون هناك . لماذا ؟ لأنه بهذا الشكل سيكون

مرضياً . يا إلهي نحن بلد كامل من الذين لا يريدون سوى أن يرضى عنهم الآخرون .

« مندفعاً بوجهه بشكل صارم تجاه بيلي »

لكن لتكن مرضياً ، عليك ألا تعارض مطلقاً . وحين لا تعارض أبداً فإن ذلك لا يشبه سوى أن تقوم بالشهيق دون أن تزفر أبداً ! إن الإنسان يمكن أن يختنق من المداهنة .

« يتمشى بخطوات بطيئة » .

وماذا لو أراد الله أن يكون مرضياً بدل أن يكون محبوباً ؟ ماذا لو ارجأ جلالته جميع قراراته الى أن يتأكد من أنها سوف تسر الأغلبية ؟ يمكن أن تكون الحيتان الكبيرة انتهكت بعض التشريعات ، وعرف الله أنها ستنهض ذات يوم وتتكلم دون نهاية عن الخير العام ؟

« بحماس عنيف » .

لعنة الله علم الخير العام ! أعطني شيئاً ما عظيماً ليس عاماً !

بيــلي : لا افهم ماذا تقول . لكن من الرائع سماع طريقة كر الكلمات !

هنــري : سأقولها بلغة انكلوساكسونية بسيطة . يا سيد بيلي : أنت إنسان غير عادي . لقد كنت تحتج

على باني الحظيرة الذي حبسك داخل الألواح الخشبية وعلى ساعات العمل النهارية .

بيلي : لا تقل ذلك لأي قاض كان ! إن كنت أحرقت الحظيرة فانهم سوف يلقون بي في السجن .

هنري : يا صديقي ، أين تظن نفسك ؟ يمكن تماماً أن تكون فعلت الذي لم ترتكبه .

بيلي : لكنني لست شخصاً مغرماً باحراق الأشياء !

هنري : ((**بتفكر**))

هذا حسن لك . إن النار في الداخل تحرق أشد من النار في الخارج وإن قناعة الانسان لهي أقوى من لهيب أو رصاصة أو صخرة .

((**بتهالك على سريره ، متفكراً**)) .

أفكر إذا كانوا سيبقونني هنا لثلاثة أشهر أنتظر المحاكمة ! فمن سيقتلع الأعشاب الضارة من مسكبة الفاصولياء ؟

((**ضحكة صغيرة**)) .

كان باستطاعتي ، طبعاً ، تكليف شخص آخر القيام بذلك .

بيـلي : إن التحادث مع شاب ذكي مثلك شيق . أراهن انك تعرف حتى الكتابة .

هنـري : احياناً .

بيـلي : اريد أن أكون كتاباً . وإذا استطعت كتابة اسمي، سأموت سعيداً .

هنـري : ستكون فعلت افضل من معظم الكتاب . اسم بيلي ليس صعباً .

بيـلي : اعرف بدايته . بدايته هي بداية احرف الهجاء معكوسة !

هنـري : **« ينحني على الأرض »**
سوف اعملك الأحرف الباقية !

« يسلط الضوء على ام هنري لوقت قصير »

الأم : آه ، دافيد هنري خبير في قلب الأشياء الى الوراء !

« تبتعد الاضاءة عنها . يكتب هنري بإصبعه على غبار الأرضية ويجثو بيلي بتوق على ركبتيه الى جانبه » .

هنـري : ...B...A

بيـلي : هذا كل ما أعرفه .

هنـري : من هو بيلي ؟

بيـلي : I « انا »

هنـري : هذا هو حرفك التالي !

بيـلي : كيف تكتبه .

هنـري : **« يرسم بإصبعه خطاً على الغبار »**
ببساطة إنـه مثل عمود لتعريش النبات . ممتد نحو الأعلى والأسفل .
«B-A-I» هكذا تكون بلغت منتصف الطريق في إسمك . من ثم دوّر الزاوية ، هكذا :
ها هو حرف «L» B-A-I **« دوّر الزاوية »** .
والآن ها هو حرف صعب .
« ينظر بعينين شبه مغمضتين الى بيلي الجاحظ العينين »
كم شعرة لديك ؟

بيـلي : ما يكفي للتمشيط .

هنـري : تمام . بيلي بحاجة لمشط لتمشيط شعره .
« راسماً على الغبار »
ها هو «E» ! وبعد أن تنتهي مع ذلك ، أنت تريد شجرة وارفـة لتجلس تحتهـا . لذلك تصنع عموداً للتعريش ذا أفرع في رأسه ، وهذا هو حرف «Y»
« يرســمه »
وها هو اسمك .

بيـلي : يا إلهي ! بسطت الأمر !
« بينما يرسم الأحرف على الأرض الوسخة ، يستدير نحو هنري . سائلاً الموافقة . »
[شـــجرة ــ مشط ــ در الزاوية ــ عمـود ــ B-A-

هنري : أحسنت ! تستطيع الآن كتابة اسمك « **بيلي** » !

بيـلي : سأغادر هذا السجن شخصاً متعلماً .
« بجديـة »
لا بد أنك أستاذ !

هنـري : أن تكون أسـتاذاً كأن تكون في السجن : ما أن يُسجل عليك لن تستطيع التخلص منه أبداً .

« يأخذ هنري الكرسي من الزنزانة ويضعها عند الحافة القصوى للبروز . ويختفي بيلي على سريره في الظل ، مكرراً تهجئة اسمه من الأحرف المرسومة على الأرض . »

« يتحول هنري أستاذاً شاباً، يتوجه الى القاعة كما لو كان ثمة قاعة صف مليئة بأطفال غير مرئيين . »

أيها التلاميذ ، ارفعوا أيديكم أمامكم ، هكذا .

« يتلفت حوله ليرى أنهم فعلوا جميعاً مثله : مبقين أكفهم مفتوحة أمام الوجه على مسافة ثمانية عشر إنشاً » .

هل ثمة شيء بين أنفي وأصابعي ؟ يا أصدقاء الشباب، بلى هناك الملايين من الجزيئات الناعمة المتراقصة ، تدور إلى الأمام والخلف ، تتداخل فيما بينها وتتقافز ! ثمة نجوم، عوالم ، كواكب وأكوان ، هنا تماماً !

« ينفخ نفخة هواء في هذا الحيز الفارغ ، ثم يشبك أصابعه مع بعضها . يدخل بول ، وهو رجل من المدينة إلى قاعة الصف بغرور ممسكاً بيده خيزرانته المفضضة الرأس ، ويصغي إلى ختام ملاحظات هنري لقاعة صفه » .

والآن — هاكم اللغز ! كيف لنا أن نعرف هذه

الجزيئات موجودة فعلياً ؟ كيف ؟

« يضرب هنري كفاً بكف ضربة سريعة عبر الفراغ الظاهري أمامه » .

بـول : فعلياً كيف ؟

« يفاجأ هنري ، يستدير ، يرى الزائر المغرور ـ عندها يتوجه إلى الصف » .

هنري : آه ، لدينا ضيف مفاجىء في قاعة الصف اليوم . رئيس إدارة مدرسة كونكورد « **ديكون نحميا بـول** » .

بـول : لست هنا لأقطع سير درسك المجدول .

هنري : شكراً سيدي . إن هذه الجزيئات . . .

بـول : مراقب وحسب . هذا كل ما أنا .

« يزداد هنري تحسباً . يطوي بول ذراعيه وراء ظهره ، وخيزرانته تتدلى مثل ذيل وراءه، يبدأ هنري بالكلام ثانية ، ولكن بول يقاطعه » .

هنري : اكتشف العلماء . . .

بـول : حاول أن تنسى أنني موجود في القاعة .

هنري : ((**ينظف حنجرته**)) .
ساحاول ، يا سيدي .
((**متوجهاً إلى الصف**)) .
مؤخراً ، في السنوات الأخيرة اكتشف العلماء أن .....

بـــول : لماذا لا أرى أية كتب مدرسية مفتوحة أمامكم ؟

هنري : نحن ... نقطف توت العليق يا سيدي .

بـــول : ماذا ؟

هنري : نتسلق من أجـــل الأفكار بنفس الطريقـــة التي نخرج فيها بحثاً عن توت العليق في الغابات .

بـــول : هذه الطريقـــة لا تعلّم أي شيء . كل ما عليهم معرفته هو التهجئة الواضـــحة في النصـــوص المدرسية المصدّقة .

هنري : بلى ، يا ديكون بول ؟ بوتر الشاب ، هنا ــ
((**مشيراً إلى تلميذ في الصف الأول**)) .
سألني للتو إذا كنت أنا أؤمن فعليـــاً بأن الله موجود ؟

بــول : ((موجهاً كلامه إلى بوتر)) .
إن مسائل اللاهــوت ، يا فتى ، تناقش مــع
« المعلم الروحي » .

هنري : سبق لبوتر وسأل « معلمه الروحي » ـ لكــن
« الكاهن » كاثن من ريكــون ، أســماه ملحــداً !
لارتكابه الخطوة الأولى وهي الشك .
((إلى التلاميذ))
يا سيد بوتر ، سأحاول الإجابــة إنطلاقاً مــن
إجابتي على السؤال نفســه وقد طرحه عليَّ أحد
الشباب المزعجين والفضوليين ـ أنا نفسي .

بسول : ((بتدقيق)) هل ستكون إجابة لاهوتية ؟

هنري : إنه رأي إنساني .
((مرة أخرى إلى التلاميذ ، لكن بطريقة عقلانية))
إذا دخلت دكاناً وشاهدت مجموعــة عجــلات
وتروساً ومسننات صــغيرة ونوابض مصقولــة
بشكل جيد لساعة مرمية على مقعد هناك، وبعد
فترة وجدتها مركبة مع بعض بشــكل دقيــق
وتعمل في تناغم لتحرك العقارب على الميناء وتعطي
مرور الوقت ، هل تعتقد أن هذه القطع دخلت
الحركة سوية بمحض الصدفة العمياء ؟ بالتأكيد

لا . اؤمن بوجود فرد ما يحمل الفكرة والخطة والمقدرة هناك الذكاء ! الذكاء !

« يتقدم والـدو في رداء أكاديمي مـن المنبر في منطقته » .

والـدو : الذكاء يحكم الكون . وعبر طقوس العبادة هذه سوف نحتفي بإمتناننا لهذا الذكاء . النصل .

« اخفض راسه ، وراح يصلي بصمت » .

هنري : ولا أعتقد أن الشمس المشرقة فوق كونكورد هذا الصباح كانت مصادفة . آمل أن توافقني على ذلك يا سيد بوتر . وأنت أيضاً يا ديكون بول . إنه كان شروقاً رائعاً .

« بشكل توكيدي »

فجميعنا مرتبطون ــ يا سـيد بوتـر ، وعلى علاقة متبادلة مع العقل الكوني .

بـول : هذا هو الإلحاد !

« ليس من السهل على هنري أن يتمالك نفسه » .

هنري : لطالما تساءلت ، يا ديكون بـول ، إذا كـان الله نفسه يعرف الإلحاد .

بـول : ((مصعوقاً)) .
إشراك متعال !

والـدو : إن العقل الكوني هو الجزء الإلهي في كلٍّ منـا ، ونحن نشارك ، على دراية منا أو في أعجوبة ذلك العقل الكوني .
((تبتعد الإضاءة عن والد ، لكنه يبقى على المنبر في حالة تأمل)) .

هنـري : ((بنعومة)) .
هل يعني ذلك كله أي شيء لك ، يا بوتر ؟

بـول : لا يعني شيئاً لي . سوف تدرّس الكتب المدرسية ، يا سيد ! .

هنـري : أرى أن نصوص كتبكم تعود للقرن الماضي بشكل ما .

بـول : تراها كذلك !

هنـري : نعم ، يا سيدي !

بـول : والذلك اخترت تجاهل الكتب التي حرّمتها لجنة المدرسة ؟

هنري : اصيب تلاميذي بداء الفضول واخشى أن لا تشفيه تحريماتكم .
((ثمة ضحكتان شابتان ـ اختنقتا بشكل سريع. يبدو انهما صدرتا عن الصف . يستدير بول بنظرة صارمة تجاه التلاميذ المتخيلين)) .

بول : **((بطريقة آمرة)) .**
صمتاً ! عليكم إظهار الإحترام للأكبر منكم ! وأنت، يا ناظر المدرسة ، ستعلم وفق النصوص المصدّقة بشكل دقيق ! وليس قطاف توت العليق !

هنري : **((وبعد برهة توقف)) .**
أيها التلاميذ . سمعتم ما قال ديكون . سوف نعتمد على الكتب المصدّقة . ابقوا نظركم على الصفحات ــ لا تلتفتوا إلى ورقة نبات أو فراشة لم تسمح بها المدرسة . وعليكم أن لا تصغوا إلى جدجد ولا تشتموا وردة لم توافق عليها لجنة المدرسة . من الأفضل لكم صم آذانكم وسد أنوفكم ــ مع إنه سيكون عليكم عندها إنبات يد إضافية للقيام بذلك .
((ويقوم بحركات إيمائية تعبر عن صعوبة تغطية

أذنيه وأنفه ومن ثم أذن واحدة فالأذن الأخرى وأنفه على التوالي . وخلال ذلك تفلت ضحكات عفوية من قاعة الصف غير المرئي ـ عبر مكبر للصوت مثبت عند أسفل البروز)) .

بـول : ((**يتقدم إلى مقدم المسرح**)) .
سكوت ! هكذا تظهرون الإحترام البلدية التي تغذي عقولكم ؟ ((**يضرب الأرض بخيزرانته ذات الراس المفضفض ، تنتفخ الأوردة في جبهته**)).
عليكم إبداء الإحترام والتهذيب !
((**تستمر الضحكات . يتوجه بول إلى هنري**)).
قل لهم أن يسكتوا ، يا سيد !
((**بمجرد أن يشير هنري بيده يتوقف الضحك**))
لا بد أن أقدم تقريراً مفصلاً إلى الجنة المدرسة حول غياب الانضباط في هذا الصف ، وأنا عازم على دعوة اللجنة إلى جلسة استثنائية هذه الليلة بالذات .

((**يظهر جون ، وكانه يخاطب عقل هنري**)) .

جـون : قدم للرجل درهم العتذار ، انه يستحق سنتيمين على إذلاله !

هنـري : ولماذا علي أن أفعل ذلك !

جـون : كي لا يفصلوك من المدرسة . وإذا بقيت عنيداً فما الذي سيحصل عندما يطرح بوتر أسئلته ؟
« فترة هدوء ــ يعتذر هنري بصعوبة بالغــة . ياخذ نفساً عميقاً ، يستدير لمواجهة بول » .

هنـري : **« بصعوبة بالغة »** .
يا ديكول بول ، أنا آسف لانك امضيت وقتاً مرهقاً الى حد ما في قاعة صفي هذا اليوم . أنا لم أقصد الإساءة إليك أو إلى لجنة المدرسة .

بـول : حسن ، نحن هنا نتوقع درجة معينة من الفوضى من قبل رجال هارفارد . وإن اعتذارك يكشف أنك تعترف بهذا العيب في شخصيتك . ولكــن هارفارد لا تمثل عذراً مقبولا بالنسبة لتلاميذك فيجب أن يعاقبو .

هنـري : سأعلمهم .

بـول : سوف تجلدهم !

هنـري : **« مذهولا »** .
مــاذا ؟

بـول : سوف تجلدهم ــ لانهم اظهــروا عــدم الاحترام للسلطة .

هنـري : « بتحـد » .
لا ، يا سيدي !

بـول : ماذا قلت ؟

هنري : قلت « لا » انا لا اؤمن بالعقاب الجسـدي .

بـول : ما تؤمن به لا علاقة له بنا . أنا لم اسألك عن رأيك كمدرس . اجلدهم !
« يتردد هنري » .

هنـري : لماذا ؟

بـول : انها سياسة . يجلد التلامذة المذنبون .

هنـري : وماذا سيعلمهم ذلك ؟

بـول : الطاعة . هذه صفة اساسية يجب أن تتوفر لدى جميع المرؤوسين ، سواء أكانوا تلاميذاً في قاعة صف ام جنوداً في ساحة معركة .

هنـري : لا يتدرب الطلاب لصيروا جنوداً . ليس طلابي على الاقل .

بـول : هؤلاء الفتيان ليسوا لك . لقد ارسلهم مواطنوا كونكورد دافعوا الضرائب ، متوقعين منك الالتزام

بالنظم التي وضعتها ادارة المدرسة .

((صمت ، هنري لا يتحرك)) .

قم بواجبك ، أيها المدرس ثورو ، اذا كنت تريد المحافظة على مركزك في هذا المجتمع .

((يحل هنري حزامــه ببطء ، يلوح به ، يخطو خطوة قصيرة تجاه بول ، الذي يتراجع الى الخلف معتقداً ان هنري ربما سيجلده . ومن ثم يستدير هنري الى الامام ، باتجاه صفه)) .

هنـري : **((بمرارة)) .**

ليتقدم ستة من بينكم . أية ستة . لينهضوا . ليس مهماً من يكونوا . أنتم جميعاً ــ كل واحد منكم ــ متهم باقتراف جريمة الضحك والفضول والتعبير عن النفس ! بيغلو !؟

((يمسك هنري الكرسي ، يقلبها كما لو كانت طفلا يجثو على ركبتيه . عينيه مغمضتين ، يسوط هنري الكرســي بعنف وبشكل مؤلم)) كوليمان !

((مرة أخرى يسوط الكرسي)) .

لورنــغ ؟

((سوطة اخرى على الكرسي)) .

مكلين !

((يجلد الكرسي مرة أخرى ، بشكل اعمى ، لاعناً ما يقوم به)) .

هندرسون !

« سوطة اخرى ، من ثم تردد » .

بوتر !

« كانت هذه السوطة هي الاكثر ايلاماً . يدير راسه جانباً . لقد انتهى الآن ، يفتح هنري عينيه منهكاً ، يحدق بالحزام كما لو كان شيئاً مقرفاً وتافهاً . ويقذفه بعيداً عنه ، خارج منصة المسرح »

بول : أهنؤك . أنا سعيد كوني قادراً على إخبار لجنة المدرسة بأن ناظر المدرسة ثورو . .

هنري : أدار السر المقدس لقاعة الدرس واستقال **« كمعلم »** في مدارس كونكورد العامة !

« يتراجع بول بجمود الى الظلال ويتوارى . يسلط الضوء على المنبر ويضييء في توهج كامل على والدو » .

والدو : **« وسط صراع داخلي » .**

لكن لا أستطيع الخضوع للطقس ، لا أستطيع القيام بالشعائر التي يطلبها مني هذا المحفل . لأنني فتشت الكتاب المقدس ولم أعثر على ما يفرض علي التكرار اللانهائي لشعائر العشاء

الاخير . لا أستطيع فكرياً أو عاطفياً ، أو روحياً
ادارة هذا السر المقدس. ولذا أستقيل من منصبي
كراع للكنيسة التوحيدية الثانية في بوسطن .

« يضع هنري الكرسي ـ « تلميذه » ـ من جديد داخل الزنزانة ، ويقترب تحت الضوء بشكل حزين » .

هنـري : لن اعظ بعد الآن أبداً .

« الاضاءة على الام وجون »

الأم : هل لاحظت يا جون ، مقدار التشابه بين كلام إمرسون وابننا دافيد هنري ؟

« يلاحظ جون وجود هنري : المغموم ويتقدم منه »

جـون : **« بهدوء »** .

المدارس لا تحتاج الى لجنة مدرسية . أو أوصياء
أو حكام أو خشابين . أو كتب مدرسية مصدقة
كل ما تحتاجه المدرسة عقلاً يرسل وعقولاً
تستقبل .

هنـري : لا يستطيع أحد أن يعلم شيئاً لأي كان .

جـون : **« مصدقاً »** .

بالطبع لا يستطيع . علمهم كيف يعلمون أنفسهم .

هنـري : **« متحمساً للفكرة »** .

إن مدرستنا الخاصة يا جون . ليست أبنية
إنها خارج سجن قاعة الصفوف . وكل
ما تحتاجه هو السماء !

« تتوهج الستارة السكلورامية بالأزرق وغيوم مضاءة بالشمس . وثمة طيور تطلق صراخها وتحلق ، وإحساس عظيم بالحرية »

الكون يمكن أن يكون قاعة درسنا ، يا جون —
عالم ريف كونكورد الشاسع والرائع .

« يضع هنري قبعة من القش بسرعة على راسه ويدس دفتر الملاحظات تحت إبطه . وثمة دفق من الضوء على مقدمة المسرح . ويبدو هنري : وكأنه يتمشى عبر الحقول المترامية والطافحة بضوء الشمس . يلحقه جون حاملا منظاره . »

أيها التلاميذ !

« التلاميذ ، على الرغم من أنهم متخيلون ، من المفترض أن جميعهم حوله . »

راقبوا ! لاحظوا ! تملوا !

« يأخذ المنظار من جون ويستعمله كمؤشر »

انظروا ما يجري من حولكم . هل خطر على
بالكم أية فكرة حول مقدار الأشياء التي تحدث
في مرج هيوود ؟ أراهن حتى هيوود نفسه
لا يعرف ذلك .

« كأنه اكتشف شيئاً ما . »

لقد ازهرت نبتة خف السيدة !

« يقلب صفحات دفتر ملاحظاته »

في العلم الماضي لم تزهر قبل يوم الغد !

« ويدون كلمة في دفتر ملاحظاته . »

هل تدركون مدى قلة الناس الذين يعرفون ما اكتشفناه للتو ؟ أن تعثر مصادفة على زهرة جديدة في صباحها الأول ! معظم كونكورد مشغولة جداً تأكل الوجبات وتذهب الى المكاتب !

« تقف فتاة رائعة الجمال ـ عشرون عاماً ربما ـ عند حافة الضوء ، تراقب ، تصغي مسحورة . »

آه ، كم سأحزن وسآسف لو انني جئت الى هذا العالم ذات مرة ولم الاحظ شيئاً رائعاً . ولم أكن مثل أمير متنكر خرج ليُعاين ويراقب .

« ناظراً نحو اخيه بشكل جانبي »

يا جون هل انت امير متنكر ؟

جون : بالطبع .

« يسير هنري ببطء في المرج »

هنـري : ألن يكون مريعاً لك أن تعيش في العصر الذهبي كرجل مأجور ؟ أو أليمبوس زائر ، تذهب للنوم بعد العشاء وتغفل تماماً حديث الآلهة . أو تصور أن تعيش في يهودا قبل ١٨٠٠ عام دون أن تعرف أبداً أن المسيح كان معاصراً لك !
ماذا تفعلين ؟
« يصل أثناء حديثه وهو يتمشى ، مثل الفلاسفة المشائين ، وجهاً لوجه مع الفتاة ، التي اخرجت دفتر ملاحظاتها ، واستغرقت في الكتابة ، وقد ارتجفت لسؤاله »

إيلـين : أنا أكتب ..

هنـري : لا تتذكري ما قلت وحسب . تذكري ما كنت أتحدث عنه .
« بشكل مطيع تغلق دفتر ملاحظاتها . يسأل هنري جون بصوت منخفض »
من هي ؟

جـون : فتاة .
« يحدق كلاهما بها ، متأثرين »

هنــري : واحدة منا ؟ اقصد هل تنتمي إلينا ؟ هل هي احد تلامذتنا ؟

جـون : « يمعن النظر إليها »
لا امانع . وانت هل تمانع ؟

هنــري : « عائدة إليها »
المعذرة يا آنسة ، إنما اعتقد انك اكبر بقليل من ان تكوني عضواً في صفنا .

جـون : يا هنري ! سيدة شابة لا تكون ابداً كبيرة جداً .

هنــري : ما اقصده بدقة ان معظم تلامذتنا بعمر الثانية عشر او حول ذلك . بينما عمرك اظن اكبر من ذلك بقليل .
« تضحك الفتاة »

إيلـين : هل لذلك أهمية حقاً ؟ لا اريد ان أزعجكم او اطرح اية أسئلة .

هنــري : ولم لا .

إيلـين : اخي الصغير هو الوحيد الذي يملك الحق بطرح الاسئلة إنه يدفع رسم التعليم .

هنـري : ((**مشيراً باصبعه نحوها**))
أنت سيويل .

جـون : كيف عرفت ؟

هنـري : إذا تمكنت من تحديد نبات خف السيدة، أقدر
على تحديد سيويل .

جـون : في قاعة الصف هذه ثمة قاعدة واحدة فقط :
لا وجـود للقواعد . ولـذا نرحب بالطبع بك
عندما تريدين المجيء في أي وقت تودين .

إيلـين : ورسوم التعليم ؟

جـون : لقد دفعتها كاملة . فلو كنت مقيتة ، لطلبنـا
تسديدها . أو إثني عشر أو حول ذلك .
((**تضحك إيلين . وجون بينما هنري لا يضحك .**
إنما ينظر اليهما فقط))

إيلـين : أنت جون ثورو .
((**ملتفتة**))
وأنت السحابة الراعدة ، هنري .
((**يقطب هنري**))

هنـري : ما هي تجربتك التعليمية السابقة ؟

إيلـين : أنهيت المدرسة .

هنـري : يا إلهي .

إيلـين : نجوت .

هنـري : ألفت انتباهك ، يا آنسة سيويل ، أن جون وأنا لا ندع أحداً ينهي . لا أحد يغادرنا ناعم السطح مثلما جاء . إننا نجعل الوعي خشناً ونحك الطحالب عن العقول الشابة .

إيلـين : من فضلك ، يا سيد ثورو . عد إلى تلامذتك . لقد قاطعتكم .

هنـري : طبعاً ! إن كل حدث مبدع ، يقع في هذا العالم ، هو نوع من المقاطعة — حدث غير متوقـع ولم يخطط لـه . والضائعون هـم وحدهم الذين يحصلون على مكان ممتع . ولذا فإن الكواكب رفاق طريق أفضل بكثير من النجوم — تبقى في تجوال جيئة وذهاباً في السماء فلا تعرفين لها مستقراً .

« متوجهاً الى صفة غير المرئي »
يا تلاميذ لدينا شخص آخر من عائلة سيويل .
أخت إدموند .
« وإلى الفتاة »
ما اسمك الأول ؟

إيلين : إيلين .

هنري : إيلين سيويل . كتابنا المدرسي ، يا آنسة سيويل ، هو مرج هيوود . مصدّق من قبل رب العالمين ، وليس من قبل اللجنة المدرسية.
« الى الصف »
في هذا المرج لوحده ، ثمة ثلاث مائة صنف من الأعشاب المتمايزة والمختلفة . لقد صنفتها بنفسي . انظروا الى الأسفل ستقولون : « هذا عشب . والعشب عشب » إنه أمر مضحك . لقد فاتكم التنوع الرائع للمشهد . هناك عشبة الحمل ، وعشبة الحلوى ، وعشبة السنحات وذنب الثعلب وصبية لندن وإبرة إبليس والريشة وعشبة الجلموس ، وعشبة التيموثية وعشبة البيادر وعشبة النفلة الكافية بمفردها لتحلية بطون جميع الحملان منذ الخليقة .

« اخرجت إيلين دفتر ملاحظاتها واخذت تكتب . فجاة ينحني هنري الى الأسفل يتطلع الى شيء ما وينتزع ورقة عشب متخيلة »
يا جون ، انظر الى هذه . ماذا تعرف عنها ؟

جـون : لم أرها من قبل أبداً .

هنـري : إنها عشبة دموع يعقوب . لم أرَ منها هنا أبداً. أيها التلاميذ ، انتبهوا ، نحن وسط تنوع من الأعشاب يبلـغ عددها ثلاث مائة وواحد من الأعشاب التي خلقها الله .
« ينقل هذه المعلومة في دفتر مذكراته . ومن زاوية عينه يرى إيلين تكتب »
تكتبين ثانية ؟

إيلـين : فقط **« دموع يعقوب »** .

هنـري : ولماذا ؟

إيلـين : وأنت تحمل دفتر ملاحظات أيضا .

هنـري : البس قبعة قش مضحكة أيضا . لا يعني هذا أن عليك ارتداء قبعة مضحكة . لسوف تبدين

مضحكةً بها . وكذلك الطبيعة لم تحشُ هذا
المرج بالأعشاب المتماثلة ، كل واحدة منها تقليد
للأخرى . جميعها متمايزة ! فاللحاق بالقائد
ليست اللعبة التي نلعبها هنا !
أيتها السيدة الشابة كوني أنتِ !

جـون : ((**بصوت منخفض**))
لا تصرخ يا هنري عليها .

إيلـين : لن أدوّن شيئاً . أعدك . ولا أية ملاحظة .

هنـري : لم لا ؟ إذا رغبت بأخذ الملاحظات ، ليكن . لكن
ليس لأنني أفعل ذلك ، أو لأنني طلبت ذلك .
((**بلطف**))
يا آنسة سيويل، أريدك أن تكوني أنت ـ وليس
فكرتك عما تظنين فكرة شخص آخر عنك .
((**ملتفتاً الى تلاميذه**))
ربما أوضحت لنا مقاطعة الآنسة سيويل جوهر
الكتاب المدرسي الـذي نسميه مرج هيوود .
أعشاب كثيرة تحت أقدامنا . وسماء لامتناهية
فوقنـا .
((**يقلب بابهامه دفتر ملاحظاته**))
وإذا دوّنت ملحوظة حول بريق السحاب او

حول ضوء الشمس أو أجنحة الطير ، لا تكتبوا،
فقط لأنني أكتبها أنا . لا تقلدوني كالقرود أو
تتشبهوا بي .

« مؤكداً ، لكن بهدوء »

إذا رغبتم مجرد الإصغاء الى السماء ، أو شمها
او لمسها برؤوس أصابعكم ، افعلوا ذلك ،
أيضاً .

« وبقناعة كبيرة . »

لأنني أعتقد بأنه يجب وجود افراد مختلفين في
هذا العالم قدر الإمكان . لذلك ليكن كل واحد
منكم دقيقاً جداً في اختيار طريقه الخاص
والسعي فيه .

**« مع تعتيم الإضاءة على الحقل المشمس ، يعود
هنري الى زنزانته المعتمة »**

بيلي : **« بمرح »**

بيلي ، بيلي ، بيلي أستطيع الكتابة ! انظر !
انظر إلي أعمل ذلك كله بنفسي !

**« يبدأ بيلي من جديد برسم اسمه في الغبار على
ارضية الزنزانة . »**

**« ويمحو هنري بمرارة نماذج الأحرف في الغبار
بقدمه . يرفع بيلي نظره متحيراً . »**

هنـــري : لاتتعلم كتابة اسـمك .

بيلـــي : تعلمت .

هنــري : « بشكل مشاكس » انسـاه . كتابة الاسم يمكن أن تقود إلى كتابة جمل . والشيء التالي الـذي ستقوم به هـــو كتابة فقرات ، ومن ثم كتب وعندما سوف تتورط في مشـاكل مثلي انا !

بيلـي : « باندهاش »
أنت كاتب ؟

هنـري : « لاويا فمه باشمئزاز »
نعـــم .

بيلـي : لو عاشت أمي لترآني أجلس في زنزانة مع رجل كتب كتاباً ، أو .. هاها ، كم ستكون فخورة بي . قل لي ، هل تركب جميع الكلمات بنفسك .

هنري : آه ، من وقت لآخر أدون كلمة أو كلمتين قيلتا من قبل . والمسألة الأساسية هي التقاط الكلمات الصحيحة ووضعها في الترتيب الصحيح .

بيلـــي : لابد أن في ذلك ثروة . يقال أن ثمن بعض الكتب اكثر من دولار !

هنـــري : لكنها لم تكتمل بعد . يجب وضع أرجل لها .
الآن فإن الكتاب يجلس في المتجر وعليه انتظار
أحد ما ذا أرجل ليدخل المتجر ويجده .

بيلـــي : « **باندهاش** »
أوواه !
« اخرج بيلي التبغ من معطفه العتيق في الصندوق، وهذا العمل يحرر الصندوق من اجل المشهد التالي » .

هنـــري : كتابي الأول ــ وكذلك كتابي الأخير ــ كان مــن النموذج الثابت جداً . لقد طبع منه الناشر الف نســـخة وأعطاني أفضليـــة في عمليـــة الدفع من أجل الطباعة . هكذا فإن جميع النسخ التي لاتباع تعاد للمؤلف . وجميعها جاءت راكضـــة إلى بيتي ، بأرجل أو بلا أرجل « **بجدية** »
والآن ، ياسيد بيلي ، لدي مكتبة تعد حوالي تسعمائة كتاب ! سبعمائة منها كتبتها بنفسي .
« مشيراً إلى الأحرف المداسة في الغبار »
ياصديقي ، اترك وظيفتك الأدبية .
« فجاة ، يأخذ هنري : صندوق الثياب مــن الزنزانة ، ويقلبه في الهواء راساً على عقب ،

ويجره إلى البروز في منصة المسرح . ياتي جون ويساعده في المركب »

هنـري : ياجون ، أفكر اليوم أن نطوف البركة كاملة . وإذا كان هذا القارب ليس كبيراً ليتسع الصف بأكمله ، فأنا سوف أصطحب الرحلة الأولى وأنت تتكفل بالرحلة الثانية .

جـون : إنه واسع بما يكفي .

هنـري : ضيعنا تلميذاً آخر .

جـون : لا ، بل ضيعنا تلميذين .

هنـري : **« بشكل دفاعي »**
حسناً التعليم يجب أن لا يكون عملية جماهيرية!

جـون : معنا ، لن يكون .

هنـري : إن مشروع مدرستنا بالكامل يقوم على أن قاعة الدرس تنمو أكبر فأكبر .

جـون : بينما تعداد الصف أصغر فأصغر .

هنـري : كم عدد من تركناهم فعلياً ؟

جــون : **« متجنباً نظراته »** .
أخذت أمي اسم عائلة جديدة ، انتقلت لتوهـا
إلى كونكورد .

هنـري : كم عدد الأطفال ؟

جـون : صبراً يا هنري ، الزوجة حامل .
« جون يهم بالمغادرة »

هنـري : إلى أين أنت ذاهب ؟

جـون : عائد إلى معمل أقلام الرصاص .

هنـري : لمـاذا ؟

جـون : سيكون مضحكاً إلى حدٍ ما ــ أن ، يكون عدد
المعلمين ضعف عدد التلامذة .

هنـري : بقي تلميذ واحد فقط ؟
**« يغادر جون . هنري ، وحيداً ، عابساً ، يرفس
الصندوق ــ القارب وتظهر إيلين »**

إيلـين : السيد ثورو . . . ؟
« يلتفت هنري »

هنـري : صباح الخير .

إيلـين : انا ـ انا جئت لاخبرك أن لا تنتظر إدموند. تابع الدروس من دونه . هو ـ اواه ـ لن يأتي اليوم .

هنري : آمل أن لا يكون مريضاً ؟

إيلـين : لا

((توقف قصير))

إنــه أبي ـ

هنري : مريض ؟

إيلـين : ليس بالضبط . الأب قلق ـ لأنـه يعتقـد أن ادموند تعلم اكثر من اللازم .

هنري : اخبار جيدة . كنت اظن أن ادموند كسول قليلاً. بالمقارنة مع التلاميذ الآخرين . أي عندما يكون لدينا تلاميذ آخرين لمقارنته معهم .

((برشاقة))

حسناً ، اخبري أباك بأن لا يقلق . سوف أكون بطيئاً مع ادموند .

إيلـين : أخشى بأن أبي لا يريده أن يأتي إلى مدرسـتك مطلقاً .

هنري : ((بازدراء))
آه . أبوك معادٍ للمعرفة .

إيلسين : لا إنه يعادي اصحاب التعالي . وهذا ما يقوله عنك وعن أخوك أيضاً . ((عائلة بأكملها ابتليت بالتعالي)) .

هنري : بحق الشيطان وهل يعرف أبوك ما هو التعالي .

إيلسين : سألته وحاول توضيحه لي . وكلما استفاض في الشرح، كلما قلّ فهمي له . أبي له هذه الموهبة .

هنري : ليس متعلماً بالفطرة .
((فجأة))
آنسة سيويل . اصعدي القارب .

إيلسين : أوه ؟

هنري : بما أنني وجدت نفسي عاطلاً عن العمل بشكل غير متوقع ، سوف أصطحبك في رحلة استكشافية دون دفع رسوم الدراسة .
((يساعدها هنري في ركوب القارب))
ابقي نظرك على الخط الفاصل بين الماء والسماء
أنا سأجذف .

« يقوم بحركات إيمائية لدفع القارب بعيداً ، تضيق مساحة الإضاءة تهتز الخلفية مع إيحاء بأشعة الشمس تنعكس على سطح الماء . يجذف من دون مجاذيف مرئية . ويشهق بشكل مفاجيء » .

قديماً كانت المجاذيف من أشجار الأرز على ذلك الشاطيء البعيد .

« متنهداً »

لكن فقدنا الإتصال مع لبنان . .

إيلين : أين ذهبت ؟

هنري : صارت أخشاباً للمواقد وتصاعدت مع الدخان في البيوت .

هل ندرك ماذا نقترف يا آنسة سيويل ؟ نحن نسمم الجنة . نجز الغابات . ونحول الأرض البائسة إلى صلعاء قبل أوانها .

إيلين : لكننا بحاجة لبناء المنازل يا سيد ثورو . أم علينا أن نسكن جميعاً الكهوف ؟

هنري : ما فائدة المنزل إذا لم يكن لديك كوكب مقبول لوضعه عليه ؟ وهل تعرفين أن الأشجار تصرخ من الألم عند قطعها ؟ لقد سمعتها .

لكن من سيقرع جرس البلدة من اجلها ؟ نلاحق البشر قضائياً بسبب الإساءة للأطفال ، وعلينا مقاضاة البشر لاساءتهم معاملة الطبيعة .

إيلين : يقول ابي ان الله خلق كل شيء لخدمة الإنسان.

هنري : اوه ؟ هل وضعنا ابوك الطبيب هنا لنقلب ونشخر ونلتهم انفسنا مثل الخنازير ؟ لا إن الخنازير افضل ، إن الخنازير يمكن أن تكون الجزء الأكثر احتراماً من البشر على الأقل هي تستهلك الفتات بدلاً من الإسهام في صنعه .

((ثمة صفير قطار من بعيد)) .

اسمعي ذلك الصوت؟ ثمة عربة محملة بالخنازير ثنائية الأرجل ، خارجة إلى السوق ... تخصي الطبيعة بخطواتها ...

إيلين : أفضل السكك الحديدية . إنها افضل بكثير من الجواد والعربة .

هنري : لماذا ؟

إيلين : أكثر نعومة واكثر سرعة .

هنري : وأكثر قذارة . وبشاعة . الحمد لله لم يتعلم الإنسان الطيران : وإلا لملأ السماء بالفضلات تماماً مثلما ملأ الأرض ... ولفتت الغيوم ؟

إيلين : « مرتبكة إلى حد ما » .

هل ورد ذلك في التعالي ، يا سيد ثورو ؟

هنري : « يضحك »

لا . بل هي كذلك ـ بطريقة ما . لنأخذ أباك . هل تحبين هذا الرجل ؟

إيلين : بالطبع .

هنري : لماذا ؟

إيلين : إنه أبي .

هنري : هل هو جميل ؟

إيلين : يا إلهي . لا .

هنري : هل يخلق الجمال ؟ يرسم ؟ يعزف آلة موسيقية؟

إيلين : لا .

هنري : « مشيراً إلى الأعلى ، من ثم إلى الأسفل » .
وهل يستطيع الطيران مثل ذلك الطير ؟ أو السباحة ، مثل تلك السمكة هناك ؟

إيلين : يعرف السباحة قليلاً . اعتاد القيام بذلك . لكنه لا يشبه تلك السمكة .

هنري : مع ذلك تحبينه .

إيلين : بالطبع .

هنري : حبك يتسامى، يتعالى ، على حقيقة أبيك ـ وعن ما هو عليه . إن كل وعي قادر على تجاوز نفسه .
« تتجهم إيلين قليلاً »
اللعنة ! أضعتك . ضعي يدك في الماء
« تضع يدها »
هل تستطيعين ملامسة القاع ؟

إيلين : « تنحني إلى الأسفل
إنه عميق جداً .

هنري : بالنسبة لمدى ذراعك. لكن ليس بالنسبة للمدى الذي يطاله عقلك .

« يتوقف عن التجذيف »
يا آنسة سيويل . لماذا يجب أن يقع ما تطاليه
عند حدود جلدك ؟
وعندما تتعالين على حدود ذاتك ستكفين عـن
مجرد العيش ــ وستبدأين كينونتك !

إيلـين : لا أمانع أن أعيش ــ

هنري : لكن الكينونة أكثر امتاعاً بكثير .

إيلـين : **« ساخبة يدها من الماء »** .
آنا خائفة قليلاً ــ فقط ــ أن **« تكون »**

هنـري : فكري كم ستكونين حرة عندما لا تخافين أبداً .

إيلـين : ألم تخف أبداً ؟
« يفكر ويحدق بها . »

هنري : نعم أخاف أن أكون في هذه اللحظة **« عائشاً »** ،
وعائشاً فقط ــ
« ينحني الى الأمام على مجذافيه ، ناظـراً في وجهها » .
ــ أن أنظر اليك وأراك فقط . آه ، لن يـؤذي
مطلقاً النظر اليك ، صدقيني . ولكن ماذا لو كان
هنالك ما هو أكثر ــ وأغفلته ؟

إيلـين : أغفلت ماذا ؟

هنري : ماذا لو أن كل ما هو جميل ، في المرآة ، في العالم أو في ــ العوالم ــ ماذا لو أجتمع كل ذلـك في الوجه ، أمامي ــ وأنا سخيف بما يكفي للتفكير بأنني أرى مجرد وجه واحد ؟
« ايلين لا تتابع كلامه بدقة ، لكنها تسّر » .

إيلـين : هل هذا مذهب التعالي .
« فقـد هنري الاهتمام بالتعالي واصبح اكثر اهتماماً بايلين » .

هنـري : **« يستانف التجذيف »** .
إن كان ذلك يروق لك .

إيلـين : لا أعتقد أن ذلك مزعج . بل انه لطيف .

هنري : ومن يقول أنه مزعج ؟

إيلـين : أبي . الليلة الماضية حول طاولة العشاء ، أعطى ادموند لأبي موعظة حول الروح العليا .

هنـري : أحسنت يا ادموند ! ان معظم حجرات الطعام هي معابد حيث الأب وحده يرتقي منبر الوعظ .

إيلـين : آه ، لكن أبي استرد حقه في الحال ، وظل يصرخ حتى وقت الفطور . فلقد توقف الليلة الماضية عند جملة غير تامة ، وعاد إليها هذا الصباح عند تناول القصيدة .

هنـري : حسناً ، أنا أكبر قليلا من ادموند . ولكن يتوجب علي حتى الآن سماع المقطع الأول النصيحة الثمينة من الأكبر سناً .
((ذهبت نظراته الى الافق)) .
نولد أبرياء . تلوثنا النصيحة . ها هي الحياة أمامنا ، مثل سطح هذه البركة ، تدعونا للابحار فيها . رحلة ، تجربة . تنتظر التحقيق . هل حاول والدك ذلك من قبل ؟ لا فائدة لي ، أو لك ، في ذلك الحين . حافظي على براءتك يا ادموند .

إيلـين : أنا إيلـين .

هنـري : إيلين ، نعم . تشبهان واحدكم الآخر ، كما تعرفين . العيون . كلاكما يصغي بعينيه .

إيلـين : يجب أن أعود .

هنـري : لماذا ؟

إيلــين : أبي ينتظرني .

هنــري : قفي بجرأة في وجه أبيك .
((يقف هنري ، يهتز القارب)) .

إيلــين : ارجوك ، يا سيد ثورو ليس في القارب !

هنــري : آه .
((يجلس)) .

إيلــين : هل تعود بي إلى الشاطيء ، ارجوك ؟

هنري : كـلا ، اسمعي . إذا قلت لـك ((**أنا احبــك سيويل ، إيلين**)) لن تصدقي أن هذا القول اقرار لواقعة اذا كنت تعلمين أنه مجرد صدى تصويت لشيء قاله أحد ما لاقوله لك .
((باستخفاف)) .
اب مــا !
((بهدوء))
لكن لو قلت ((**احبك**)) وكان ذلك نابعاً من داخلي من تجربتي الخاصة ـــ من افتقادي لها ـــ من براءتي . عندها أنت والله ستريان أنه مــــن المناسب تصديقي .
((تسقط الاضاءة على جون والام ، بينما تلتفت إيلين بعيداً عن هنري محدقة في الماء)) .

جـون : ((بسرعة)) .
يا أمي ، هنري عاشق .

الأم : شكر لله .
((تبتعد الاضاءة عن جون والأم)) .

إيلـين : **((بجمود))** .
أنا ليست واحدة من سمكاتك ، ولا طيراً من طيورك ، يا سيد ثورو . لذلك لا أستطيع أن أسبح أو أطير عائدة إلى اليابسة . انما علي أن أجلس هنا ببساطة وآمل أن تكون لطيفاً بما فيه الكفاية لتعود بي الى الشاطىء .
((لا يتحرك هنري . ينظر اليها . انها جميلة ، لكنه عرف انه اضاع فرصته ، وهذا الامر يحبطه))

هنـري : ((متنهداً)) .
يا آنسة سيويل . أعتذر منك . ولسوف أعود بك الى الشاطىء بشرط واحد .

إيلـين : أنا مضطرة لقبوله .

هنـري : تعالي يوم الأحد الى الكنيسة .

إيلـين : انت لا تذهب الى الكنيسة .

هنــري : بالطبع لا . . لا أستطيع المكوث جالساً في المقعد صبح يوم الأحد تسلبني الموعظة .

إيلــين : مع ذلك تدعوني الى الكنيسة ؟

هنــري : مع جون . لدينا تشابه عائلي قوي ، أيضاً . وإذا وجـدت مقطعـاً واحـداً عندي يستحق التدوين في دفتر مذكراتك ، ستجدين فقرات كاملة عند جون ! في حين أنني مشاكس ، هو أنيس . وفي حين أنني شائك وعليق ، هـو حديقة . وفي حين أنني هضبة جرداء في الشتاء، هو ربيع .
« يبدأ بالتجديف ، ببطء »

إيلــين : كيف تعـرف أن أخـاك يـود اصطحـابي الى الكنيسة ؟

هنــري : ألم تلاحظي في يوم مرج هيوود ـ عندما عرض عليكما ؟

إيلــين : لقد تكلم معي وحسب .

هنــري : لذلك لم تسمعيه . لم تفهمي بلاغة صمته .
« يصل القارب الى الشاطىء المفترض . يقفز

هنري منه ، يقوم باداء حركات ايمائية تعبر عن سحبه للقارب الى الضفة . من ثم يساعد إيلين على النزول . إيلين ، بعد وصولها الى هدفها تتساءل .. هل ضعت أنا حقاً ؟ »

إيلين : **« بمزيج من الشجاعة والأسف »**
كان يوماً جميلا يا سيد ثورو . شكراً لك على شرحك لمذهب التعالي وجعله بهذا الوضوح .

هنري : حقاً ؟ إذا فاتني أي شيء ، إسألي إدموند .

إيلين : ماذا سيحدث لمدرستك ؟

هنري : **« مبتعداً »**
راجع إليها . كتلميذ . ربما أستطيع أن أتعلم من الطبيعة — ومن جون ، يمكن لمرج أن يكون ممتلئاً بالأزهار ، دون أن يصدر عنه صوت واحد . ولكن إنساناً واحداً على فرض أنه أكثر حكمة من النرجس البري ، يمكن أن يقرع على طبلة آذاننا بقوة لكي لا يسمع أحد ما يحاول قوله هذا الانسان .

« إيلين مرتبكة . كان هنري يبدو عنيفاً في صمته . ابتعدت إيلين جرياً ، خائفة . ونظر

هنري بحزن صوبها . من ثم حدّق في القارب الفارغ ورفسه ، لقد أشعره ذلك الفراغ بشيء من الخواء في داخله . »

« يتحرك هنري . ببطء الى مساحة الزنزانة . ويختفي ايحاء الضوء على الماء المتموّج . ولايبقى سوى ظلال الزنزانـة الليلية الطويلة . بيلي غافٍ على سريره ، يشخر بلطف . ينظـر هنري إليـه » .

هنـري : يا سيد بيلي ، ما رأيك بالزواج ؟

« أطلق بيلي دفعة شخير ساخرة ، اوحت بأن السؤال أدرك لا وعيه . يومىء هنري براسه »

يبدو أن ذلك هو رأي الأكثرية .

« يجلس على سريره . تدق الساعة الحادية عشرة . يتسـع الصـوت ، أقوى فأقوى ، وينبض بموجات ثابتة . »

يا بيلي هل تسمع ذلك ؟ لا أظن أنني شعرت من قبل بأمواج صوت ساعة البرج هذه .

« ضحكة »

إنه لأمر مضحك ــ هل يجب وضع الانسان في صندوق من الحجر حتى يسمع موسيقا قريته هـو !

« ينادي هنري عبر النافذة ذات القضبان . »

شكراً لك ، يا كونكورد شكراً لك لأنك حبستني ومنحتني حرية سماع ما لم أسمع من قبل أبداً . وضعتني وراء قضبان حديدية وجدران حجرية بسماكة أربعة أقدام ومن أين لك أن تعرفي أنني لست حراً ؟ أنا الانسان الأكثر حرية في العالم وأنت ، هناك في الخارج ، مغلولة الى ما عليك القيام به صباح الغد .

« ويهمس الآن عبر حاجز الزنزانة المشبك »

تكلمي بنعومة يا كونكورد ـ أستطيع سماع أنفاسك .

« ويطلق بيلي شخرة أخرى » .

اهدأ يا بيلي . نحن الأحرار يجب أن نصغي الى صراخ السجناء .

« تبتعد الإضاءة عن الزنزانة . وثمة إسقاط لنافذة زجاجية ملونة . أعلى المسرح يقف صف من المصلين : ديكون بول ، سام ستابلز ، والدو ، ليديان ، السيدة ثورو ، جون وإيلين الى جانبه ، بالاضافة الى سكان البلدة . يلبس الجميع ثياب الأحد وينشدون المقطع الأخير من ترنيمة : « لتتقدس الرابطة التي تجمعنا » من ترنيمة « المهاجر »

جمهور المصلين : « ينشدون بصوت واحد »
لتتقدس الرابطة التي تجمع
قلوبنا في الحب المسيحي ،
إلفة العقول النسيبة
شبيهة العليا
آمـــين .

« في منتصف الترنيمة ، يهرش إدوارد مؤخرته وتبعد ليديان يده . وبعد كلمة « آمـين » تتصاعد موسيقا الأورغ ، بينما يبدأ المصلون بالتقاطر الى المنطقة المضاءة باضاءة مرقطة توحي بظلال أشجار بعد ظهيرة يوم الأحد . تخرج إيلين ، ممسكة بذراع جون وثمة تحلق من المتحدثين حول عائلة إمرسون »

ديكـــون : قل لي ، دكتور إمرسون ، ما هو شعور الكاهن عندما يسمع قسماً آخر على منبر الوعظ ؟

والـــدو : بالراحـــة .

ديكـــون : شعور بالراحة لأنك لست من سيقدم الموعظة ؟

والـــدو : **« بجفاء »**
إنقضى الأمر .

« تبتسم الأم لجون ولإيلين . وفجأة يقع نظرها على شيء يحول روحها الى جليد . ينظر الآخرون ، لكن بدرجات مختلفة من الصدمة ، بينما هنري ، قميصه مفكوك الأزرار ، يدفع أمامه عربة مليئة بالتراب . وبمرح يعبر مباشرة أمام جماعة المصلين المغتسلين والمترسمين . تخفض إيلين بصرها . ويكبح جون تكشيره ، ويبتعد والدو وليديان برشاقة ويحاول ديكون بول ان يبدو قدر الامكان مثل موسى على الجبل . »

الأم : آه ، يا دافيد هنري ! يوم الأحد !

هنري : « بمرح »
هذا هو يوم الأحد أليس كذلك . هل حبسوكم جميعاً في الداخل ؟ في هذا الصباح الجميل ؟ يا للأسف !

ديكون : كنا نغذي أرواحنا !

هنري : يا لأنانيتكم .
« يصل الى عربته وينثر بعض محتواها غير المرئي على اقدام المصلين »

كنت أغذي نباتات كونكورد .

« يجفلون من الرذاذ . »

اجلب أرغفة الخبز والأسماك لأزهار الليلك .

« يتحرك بمرح ، يدفع هنري العربة مبتعداً ، وجميع الأبصار معلقة عليه »

ديكون : عمل ليلة الأحد الشيطان في ماسا شوست .

جون : إن هنري يصلي في الغابة .

ديكون : ولماذا الكنائس إذاً ؟

والدو : يخطر لي هذا السؤال أحياناً .

ليديان : **« بسرعة »**
يقصد الدكتور إمرسون أن الإله الطيب موجود في كل مكان .

ديكون بول : الرب ، حسب ما أعرف أنه ارتاح في اليوم السابع .

والدو : لماذا ، يا ديكون بول ، أنت أكبر مما أظن ؟
« وقبل أن يحس بول بالإهانة ، يربت إمرسون الطيب بود على كتفه »

بالنسبة لك ولي ، يا سيد ديكون ، فان إعلان الاستقلال قـد كتب وانتهى الامـر . لكن علـى الشاب ثورو إعلانه كل يوم ــ بما في ذلك أيام الآحـاد .

« يتحرك والدو مع ليديان . »

ما الضرر في أن يتجسد مزاميره المقدسة بعرقه بدلاً من انشادها ؟

« يتفرق المصلون . يبتعد جون وإيلين سوية . تبقى الأم وحدها . تلاحق هنري ، بنظراتها وهو يختفي . »

الأم : آه ، دافيد هنري : ــ لماذا الرب وانا خلقناك شاذاً الى هذا الحد ؟

« تتوجه نظراتها الى السماء »

ارجوك يا رب ، لا تجعل جون شاذاً مثل اخيه. ولعلك ، إذا لم يكن مزعجاً جداً ، تزلق كلمة **« نعم »** من فم تلك السيدة الشابة . آمين .

« تغادر . يختفي زجاج النافذة الملون . وتتحول السيكلوراما إلى غيوم تضيئها اشعة الشمس . وتنطلق ضحكة جون ، بشكل مكبّر وذا صدى، عبر حقل منبسط . ياتي هنري : يقف وقفة المنتصر . »

هنـــري : قالت « نعم !!! »
« ينفجر ضاحكاً ، شبه سكران بضحكته »
تهاني ــ أنا سعيد لأجلك ، يا جون ! هل تزمع
القيام بذلك بالطريقة الصحيحة ؟
أو هل عليك أن تمر عبر هذه الطقوس القبلية
ــ إعلان الزواج ، في الكنيسة ، كل هذا الهراء
البدائي ؟
« جون ، في نوبة من الضحك ، يعانق أخاه »

جـــون : قالت ــ قالت ــ
« ويضحك من جديد »

هنـــري : قالت « نعم » بالطبع !
« جون ، مستمراً في الضحك ، لا يســـتطيع الإجابـــة »
لم تقل « لا ! » ؟

جـــون : لا لم تقل « لا ! »

هنـــري : وماذا قالت بحق الشيطان ؟

جـــون : **« لا يزال يضحك »**
رددت قول أبيها

هنـري : أبوها السماوي أم الأرضي ؟

جـون : ذلك الذي تزوجته أمها .

هنـري : حسناً ماذا قال « وجه ــ العصيدة » العجوز ؟

جـون : قــال

« يضحك »

قالت انــه قــال ــ إن الزواج بأي من الأخــوين ثورو لا يمكن أن يخطر على بال ؟

هنـري : آمين ! الأخوان ثورو لم يكن لديهم أبداً نيــة بالزواج من أبيها ؟

« بشكل آمل »

لكنها واجهته بجرأة ؟

جـون : لم أكن هناك ــ لكن من الواضح أنها جلست .

« يجلس »

هنـري : وهكذا فقد ضيعت ستة آحاد صيفية جميلــة تصطحبها الى الكنيســة !

جـون : أقسم انني لم أصلِ . كنت أتلصص ناظراً الى وجهها من طرف عيني . أتساءل بماذا كانت تفكر . وادركت أخيراً أنها لم تكن تفكر مطلقاً !

هنـــري : إنها فتاة . ومن يرغب بزوجة تتجول مفكرة ؟

جــون : ((**يبدأ بالضحك مجدداً**))
عندما فاتحتها بالزواج مني ، مضت لحظـة صمت حبلى بالتوقعات .
حسناً ليست حبلى ، إنما لحظة توقف . من ثم قالت : ((**آه ، يا عزيزي ...**)) في البداية فكرت أن العاطفـة تغمرها ، بعدها أدركت أنها كانت تقول ((**آه يا عزيزي !**)) فقط .

هنـــري : وبعد ذلك ؟

جــون : قالت ((**لماذا لم يسألني هنري : ذلك ؟**)) وقلت ((**لو سألك ستجيبين بنعم ؟**)) وقالت ((**لا ، لكن لماذا لم يسألني على أية حال ؟**))

هنـــري : هــذه إهانة ! تريد تعليق فروتي رأسينا على شرائط تنورتها !

جــون : لن تتزوجك ، ولن تتزوجني . ولكن أعتقد أنها تزوجتنا في لحظة .

هنـــري : هذا ما يعطي التوحيدية معنى جديد !

جــون : لو كنا مسلمين ـــ

هنري : لن يفيد في شيء . الإسلام يقول بتعدد الزوجات، وليس بتعدد الأزواج .

جون : لكن بعد ذلك ، يا هنري ، دمرت كل شيء . قتلته وضحكت .
((**يضحك هنري قليلاً**))
ليس على هذا النحو . بل أقوى من ذلك !
((**ينطلق كلاهما بالضحك**))
ليس عليها ، تلك الفتاة العزيزة ، بل علينا !
كنت على وشك أن أحطم التقليد الأكثر قداسة لقبيلة ثورو : العزوبية !

هنري : ((**ضاحكاً**))
كم أنت طيب القلب يا جون ! لقد أنقذت الفتاة من الزواج بقرد .

جون : أو بزوج من القردة !
((**يضحكان بعمق اكبر**))

هنري : من في نسلنا إرتكب حماقة الزواج من قبل ؟

جون : بابا وماما .

هنــري : شرعياً فقط . ما عدا زوج من الهفوات التي أنتجتنا ، أنت وأنا . بابا كان عازباً طاهراً وماما ركن أساسي مــن اعمدة العنوسة . وبفضل خمولك الشجاع ، يبقى آل ثورو عرقاً مــن العمات العوانس والعزّاب : جميعنا عذراوات أيلول !

جــون : يا هنري ، لم يسبق لي أن أخبرتك حول أحد من آحاد أشهر نيسان .

« يرفع هنري إحدى يديه في صفح زائف » .

هنــري : يا ولد ، إذا استطاع الأب التردد ، عندها أنــت تستطيع !

« يضحكان سوية ، ومن ثم يصبحان أكثر جدية »

جــون : ذلك ينذر بمستقبل ستبقى فيه وحيداً .

هنــري : وحيداً ؟ أبداً ! لماذا ، عندما يصير عمري تسعون عاماً وأنت مجرد طفل بعمر ثمانية وثمانين عاماً .

« يمسك هنري بيد أخيه » .

هنــري : هذا هو الوقت المناسب كي نذهب كلينا لطلــب يد إيلين سيويل !

« هنري وجون يتقافزان ، يضحكان ، كما لــو

كانا زوجاً من العجائز التسعينية تم حقنهما « باكسير الشباب » من ثم يتعانقان وهما يضحكان دون توقف »

« تطفأ الأنوار . وفي الظلام الدامس يقرع جرس الكنيسة بصوت حزين . وبشكل معتم تظهر النافذة الزجاجية الملونة للكنيسة . من ثم يسقط ضوء ابيض بارد ، من فوقنا مباشرة ، على الصندوق الذي كان قارباً وتحول الآن إلى تابوت » .

صوت قس : إلى الرب كلي القدرة نسلم روح أخينا الراحل جون ثورو ، نسلم جسده إلى التراب ، واثقين من أنه سيبعث من جديد إلى الحياة الأبدية . لنصلي .

« اربعة من رجال البلدة بمعاطفهم السود يحملون التابوت . الأم متلفعة بالسواد . ويسير هنري ببطء إلى جانبها . تنظر في وجهه » .

الأم : دافيد هنري . صل معي !

« تجثو الأم على ركبيها في مواجهة الجمهور ، تشبه تماماً من يسير في نومه يجثو هنري على ركبتيه . وجهه أشبه القناع . تشبك الأم يديها . ويفعل هنري الشيء نفسه بشكل أوتوماتيكي » .

الأم : **« بصعوبة »** .
ابانا الذي في السماء ، ليتقدس !
« تتوقف فجاة ، تنظر إلى ابنها الصامت ، الذي انزل يديه »

هنـري : لا أستطيع يا أمي . لاأستطيع الصلاة .

الأم : إنها تفيد .

هنـري : حقاً ؟ لقد صليت من قبل . ما الفائـدة التـي قدمتها ؟

الأم : يجب أن نصلي لروح جون .
« يقف هنري فجاة بشكل غاضب » .

هنـري : أنا أفهم ! لقد كف الإله عن الإصغاء ، يا أمي هذا إن كان قد أصغى في يوم من الأيام . أي اله هذا الذي يخفق في رؤية الورع في جون؟لاأستطيع أن أصلي له .
« يبتعد هنري ، من ثم يعود ، يقبل راس امـه وبهدوء » .
يا أمي . صل من أجل والديك .
« تخفض الأم راسها ، تصلي بينمـا تبتعـد .

يتلاشى إسقاط الزجاج الملون . وتجيء إيلين مسرعة »

إيلين : « **بتودد** »
ماذا حدث ؟

هنري : « **يهز كتفيه باستهجان** » .
لقد مات .

إيلين : كنت في « وينزروب » . لم أسمع إلا بعد مراسم الدفن . .

هنري : تدبرنا الأمر .

إيلين : كيف حدث ذلك ؟ ألم يعرف أحد مسبقاً ؟

هنري : ماذا تريدين ، تقرير طبي ؟ لإرواء فضول مريض ؟

إيلين : مع ذلك لم أستطع أن أتزوجه .

هنري : لم تستطيعي ؟ حسناً ، هذا شأنك .

إيلين : يا هنري ، لا تكن انانياً الى هذا الحد مع حزنك انه يمسني الأمر أيضاً !

هنري : مات ميتة ساحرة . مثل فرسان الطاولة المستديرة الذين تطاعنوا بالسيوف الصدئة حتى ماتوا جميعاً بتسمم الدم .

إيلين : لا افهم .

هنري : منذ ثلاث صباحات وبينما كان يحلق ذقنه تذكر جون شيئاً مضحكاً . انفجر ضاحكاً ، وجرح نفسه . كانت شفرة الحلاقة قديمة ومؤذية فأفسدت الدم في عروقه . وبذلك « **ملتفتاً بشكل مباشر في وجهها وبعنف** »
ــ هل تحبين التفاصيل ؟ التشنج ، الإقياء ، عدم كفاءة الأطباء القاتلة ، شكل اللسان ، الإختناق ، تشنج الفك ، الوجه المتقع بالسواد ، والعيون المتوسلة للأوكسجين ، ال ... « **فجأة تظهر على هنري اعراض تشنج الفك السيكوسوماتية ويبدو عليه انه يدخل في سكرت موت اخيه** »

إيلين : « **مرتعبة** » !
يا هنري !
« **يتجاوز حالة الوهم يتنفس بصعوبة ، ويستعيد التحكم بنفسه** »

هنــري : **« منهكاً ، ولكن بتركيز »**
لو أن صاعقة برق ضربتــه ، لكان ذلك جديراً
بإنسان من حجمه . ولكن جرحاً في الاصبع من
شفرة مثلمة ــ أية إهانة هــذه ! أي نوع من
الآلهة هذا الإله الذي يأخذ هذا الشباب والطاقة
والضحك ! إنها هجمة أفعى من الإله .
« رافعاً راسه الى السماء »
لقــد ابتليت أيوب لكن لم تقتله ! لمــاذا لم تكن
بهذا العدل مع جون ؟
« تتحرك إيلين نحوه ، تريد ملامسته ، لمســة مواساة لكنها لم تفعل »

إيلــين : إنني أتساءل إن كنا نتعلم التعالي على الألم حينما
ينزل الله بنا الأذى . . .؟
« تتحدث برقة كبيرة وبساطة »
في القارب ، لم أفهم حقاً . ولكن أمن الممكن
يا هنري أن يكون جون يواصل كينونته مــع
إنه كف عن العيش ؟
« يستدير هنري وينظر إليها . لقد فهمت ! وثمة دافع قوي لدى هنري يدفعه لمعانقتها ، ولكن آلية كبح أقوى تمنعه »

«تبتعد الإنارة عنهما،ويسلط الضوء على والدو يجلس كما يفترض في مكتبه . تقف ليديان وراءه . يتكىء هنري على ساقه الأخرى . بينما والدو يتفحصه بعمق »

والدو : حسناً ما العمل الذي ترغب القيام به ؟

هنري : أي شيء . أرغب في استخدام يدي .

والدو : وماذا بشأن رأسك ؟

هنري : يمكن أن يكون مفيداً . من أجل التنقيب في الكتب ، ربما .
« تضحك ليديان »
أستطيع طرقه وتحويله الى شفرة محراث .
ربما إذا كان أداة للفلاحة أفضل منه للتفكير .

والدو : ستتخلى عن التفكير ؟

هنري : في الحياة هذه ، نعم .

والدو : **« متجهاً نحو زوجته »**
يمكن أن نستخدمه لأداء ضروب مختلفة من الأعمال ، ياليديان .

((الى هنري))
السيد إمرسون يؤكد لك أنه ، من بين مخلوقات الله جميعها ، أنا الأقل براعة باستخدام يديّ .
وإن موهبتي في النجـارة لا تتجـاوز تقطيـع الجبنة .
((يضحك الجميع ، يشعر هنري بشيء من عدم الإرتياح))

هنـري : أنا ماسوني(*) .

والـدو : أنت ؟

هنـري : ((بسرعة))
لا ، بالطبع لست ماسونياً ـ إنما أقوم بالبناء .

والـدو : الأعشاب في حالة حرب مع القطيفة . وفي زيارتي الأخيرة لها ، كانت الأعشاب هي الرابحة .

هنـري : حكمت بالهلاك . فأنا عشبة مثلها ، وسوف أتغلغل بين صفوفها .

(*) كلمة ماسوني تعني ((البناء)) وهنا تلاعب باللفظ بين كلمة ماسوني الشخص الذي ينتمي الى الماسونية وكلمة ماسوني بمعنى ((البناء)) .

والـدو : وماذا عن الأطفال ، يا سيد ؟

هنـري : ماذا عنهم ؟

ليديان : اي هل كان لك تجربة معهم .

هنـري : جيد ، لقد كنت طفلا ذات يوم . باختصار .

ليديا : **« الى والدو »**
من حظ إدوارد الجيد ـ أن يكون لديه شخص يستطيع اصطحابـه للتجول مشياً على الأقدام وفي القارب ..
« الى هنري »
ليس لدى الدكتور إمرسون ما يكفي من الوقت ليكون أباً ـ فهـو مشغول جـداً بمحاضراته وكتاباتـه .

هنـري : عندما سأكون مع ولدكم ، يا دكتور إمرسون ، يمكن أن أعود بذاكرتي بشكل مؤقت .

والـدو : أعتقد أن هذا تدبير جيد . بالطبع تبقى مسألة التعويضات .

هنـري : لقد دُفعت لي .

((يرفع والدو حاجبيه ، متحيراً))
وبما هو أكثر أهمية بكثير من النقود . وأكثر قيمة . فالكلمات التي كنت ترشقها بين النظارة من على منصة المحاضرات ـ أنت لا تعرف أبداً ما كان يحدث لها . أليس كذلك ؟ مثل إمبراطور روماني كان يقذف النقود الى الحشد حوله بينما كان يجول راكباً عبز شوارع المدينة .

والدو : كان الأباطرة الرومان يحاولون بذلك شراء الشعبية .

هنري : والفقراء لم يكن لديهم سوى الذهب . لا عجب روما سقطت !
((يزداد انفعالاً))
لكن أنا جلست على العشب في باحة هارفارد وسمعتك تتحدث المرة الأولى . كنت في الصف الأخير من المجتمعين ـ لكنني أعتقد أنني التقطت من القطع النقدية أكثر من المحتشدين عند عجلات عربتك .

والدو : ((إلى ليديان)) :
قد يكون ممتعاً أن يكون لدينا مساعد هارفوردي مثل هذا الرجل .

« إلى هنري »

انا منعدم ، كما تعلم . ولست محظوظاً مثل القياصرة ، بل يجب عليّ أن أضرب قطع نقودي جميعا . مثل رجل يجلس إلى منضدة ويتساءل باستمرار : هل هذا ذهب أم قصدير ؟

هنري : آسف . فلقد كانت استعارة مغلوطة . النقود مجرد نقود ، أما الفكرة فلا تستطيع تبديدها مطلقاً فهي تبقى بانتمائها لك بالرغم من أنها تغني الآخرين !

والدو : « بإتهـام » .
أنت تفكر ، يا سيد ثورو . بالمناسبة ، إذا كنـا سنستخدمك هنا ــ أنت ، يداك ورأسك ــ من المرجح لن يكون من الممكن الاستمرار ــ بمناداتك ب « **سيد ثورو** » . أعتقد أن أمـك تناديك ب « **دافيد** » ؟

هنري : **اسمي « هنري »**

والدو : « **بجفاء** »
لقد سمتني أمي « **رالف** » ويمكنك أن تناديني ب « **والدو** »

« ضحكا وتصافحا »

وليديان ، بالطبع « **ليديان** » ، وإدوارد ــ أين إدوارد ؟

« ينادي »

إدوارد . يا إدوارد !

ليديان : اعتقد أن من الهام ان تلتقي بإدوارد للتأكد من أنكما ودودان .

والدو : ولماذا لا يكونان ودودين ؟

« جاء إدوارد . عمره ثمانية أعوام ، له حياء وتحفظ ابن أب مشهور »

إدوارد : **« لأبيه »**

نعم يا سيدي ؟

والدو : صافح يا إدوارد السيد ثورو وبقوة .

نعم ، يا سيدي ؟

« يتصافح إدوارد وهنري »

سوف تكونان صديقين رائعين .

هنري : **« بعفوية »**

لا أرى أي مانع .

إدوارد : « بجدية »
فرصة سعيدة يا سيد ؟
« إدوارد حذر في صداقاته »

ليديان : ألن يكون رائعاً ، يا إدوارد ــ وجود عضو جديد في العائلــة ؟

إدوارد : « بشكل مطيع » .
بلى ، ماما

ليديان : «إلى زوجها »
لكن يجب ألا نتوقع من هنري أن يعمل مقابــل اجــر سخي مساو لما ندفــع لإدوارد ــ وهــو لا شيء .

والدو : ليس صحيحاً . صباح كل سبت ، مطراً كان أم صحواً ، يحصل إدوارد علــى دايم(*) براق وجميل .

إدوارد : « متفاجئاً وباستغراب »
أنا أحصل على دايم ؟

(*) عشرة سنتيمات .

والدو : اودعه لك في البنك دون تأخير .

ليديان : ((**بابتسامة باهتة**))
وبعض الأسابيع ندفع لك اكثر
((**يضحك الطفل ـ من الواضح انه يرتاح مع امه اكثر من راحته مع ابيه**))

والدو : ((**يضرب الطفل ، وبشكل آلي إلى حدّ ما**)).
هذا كل شيء يا إدوارد . عد إلى دروسك .

إدوارد : نعم يا أبي .
((**ويعدو الطفل بسرعة**))

هنري : ((**مراقباً الطفل المبتعد**))
إذا كان ذلك يرضيك ، سوف آخذ الأجر نفسه مثل إدوارد وأحاول أن أكون جديراً به .

والدو : يا هنري ، انت رجل أعمال سيء .

هنري : انا لست رجل أعمال بالإطلاق عندما لا تدفع لي اجراً منتظماً لن أكون مجبراً للالتزام بساعات عمل منتظمة . فأنا أحب إعطاء حياتي هامشاً واسعاً ...

« بسرعة »

لكن أؤكد لك ، بأنني سأنجز الأعمال .

والدو : عندها من الأفضل أن ندفع أجوراً أسبوعية ..

هنري : وهل بالضرورة أن تكون الأجور نقوداً ؟ ألا يمكن أن تكون ....

« يتوقف . ثمة إسقاط رقيق لأوراق خضراء وموسيقى ناي بعيدة . يتوقف هنري لسماعها يحدق والدو وليديان به باستغراب ، بينما يرنو هو بنظره بعيداً تجاه والدن ، بعيداً إلى مؤخرة القاعة أو أبعد » .

كم يمتد المرج خلف منزلكم ؟

والدو : حتى الغابة .

هنري : ضمناً الغابة ؟

والدو : جزء منها . إلى شاطىء البركة .

« ترتفع موسيقا الناي ، وتتسارع ، تتسارع الأفكار داخل رأسه » .

هنري : اربما ، ذات يوم ، إذا وجدتم عملي مفيداً لكم ، وإن بقينا أصدقاء ، ربما أطلب منك جزءاً مـن

الغابـة ...
((بسرعـة))
مساحة صغيرة، لا تتجاوز مساحة هذه الحجرة
ليس كهدية ، لا أريـد امتلاكها مجرد تفاهـم
أصدقاء ـ أصـدقاء يدركون أن الأرض ملكـاً
للمراميط ، في مطلق الأحوال .

ليديان : وماذا سوف تفعل بها ؟

هنري : لست متأكداً تماماً . مجرد فكرة ـ ((تجربة)) .
((تخفت موسيقا معزوفة النـاي ، ويتلاشـى إسقاط الأوراق)) .

والدو : تفكير سليم ، يا هنري . تخطـط للمستقبل ، لتقاعدك .

هنري : تقاعد ؟ أية فكرة حمقاء هذه لماذا تضيع أفضل جزء من حياتنا ؟ ولم الشقاء شقاء كلب لنلهث للحظة أو لحظتين قبل أن نموت ؟
((يضحك والدو))

والـدو : حكى لي كارليل عن رجل انكليزي هاجر الـى الهند ـ ((**انديا**)) كما يسميها ـ ليجمع ثروة

كبيرة ويعود بها الى « **ليك كانتري** » ويحيا حياة شـــاعر .

هنــري : لو كان فيه لمسة شعر لندفع الى العلية ومكث فيهــا .

والــدو : كان عليه ، لكنه مات في البنجاب ـ يملك ثروة هائلة لكن دون أي مقطع شعر باسمه .

ليديان : هل يمكن لهنري أخذ قطعة من الغابة ؟ من اجل تجربتــه ؟

والــدو : حسناً . لا أعرف نوع التجربة في ذهنك . ولكن إذا لم تمانع المراميط لماذا سأمانع أنا ؟

هنــري : شكراً ، دكتور ـ أو ل ـ
« **يصحح الاسم** » ـ والدو

والــدو : الى زوجته .
ليس لدي متسع من الوقت الكتابة قائمة بجميع الاشياء التي بحاجة للعمل . يا ليديان هــل تستطعين الدخول مع هنــري في التفاصيل ـ ـ مختلف الأشياء التي ـ

هنري : لا تضعي قائمة . ستبوح لي الأشياء بحاجتها .

والدو : آه ، أي خلاص هذا ! المشكلة عندما تستأجر أناساً لمساعدتك ، يقومون بما كلفتهم به دوماً ـ ويجيئون قارعين على بابك قائلين : « **ما العمل التالي ؟** » ويكون ذلك دوماً بينما تكون أنت تمعن التفكير فيما عليك فعله تالياً ؟

هنري: أنا أحترم خصوصية الانسان . لن أقرع مطلقاً باب مكتبك .

والدو : لا تكن شديد الغرابة ، يا هنري . أوه ـ حتى أنا يمكن أقطع عملك بين فترة وأخرى ـ أطلب منك مساعدتي في اصلاح جدار متداع أو في قلع بعض الاعشاب الضارة من محاضرة اكتبها .

هنري : أنا انسان غير مؤدب . سوف أكون صريحاً معك وحتى مع مرجكم الخلفي .

« **يغادر هنري ويحدق والدو وراءه** » .

ليديان : قليلون من يفهمون هذا الشاب . فهو لا يطلب شيئاً !

والدو : ربما يريد الكثير جداً .

« انطفأت الانوار جميعها ما عدا ضوء القمر على زنزانة السجن يتمشى هنري عائدا الى الزانزنة يقف بجانب النافذة المخططة ويصغي مرة اخرى الى اصوات كونكـورد يرتعش بيلي مستيقظاً ويجلس بشكل مفاجيء » .

بيلــي : كم الساعة ؟

هنــري : الى أين تنوي الذهاب ؟

بيلــي : الى النوم ثانية . لكن أود أن أعرف كم مضى من الليل .

هنــري : في سمرقند الوقت ظهراً تقريباً .

بيلــي : هي قريبة من بوسطن ؟

هنــري : انها بعيدة جداً ، بقدر ما تتصور ، عن بوسطن .

بيلــي : لا استطيع أن أتصور أبداً كيف يمكن أن يكون توقيت هنا وتوقيت آخر في مكان آخر . الا يجب أن يكون الآن في كل مكان .

هنــري : أنت أكثر حكمة من معظم الناس الذين يحملون ساعات . لا أعرف ما الفائدة من تعليق الأرقام

على الساعات . انت لا تستطيع أن تعد نهراً يتدفق بجانبك . وخير ما تفعله هو أن تخلع ملابسك وتسبح فيه . وحين يغمرك الماء من كل جانب ، ستكون عندها جزءاً من النهر الكلي ـ حيث كان وحيث يكون وحيث يتدفق اغطس فيه

بيلي : لا أجيد السباحة .

هنري : ثواية صعوبة في ذلك . بلى هناك صعوبة واحدة فأنت لا تستطيع أن تصارع الماء . فإذا ما طوّحت بذراعيك لتخترق بهما الماء وتغالب التيار ، فإنه سيهزمك . ولسوف تنزل تحته.

« ثمة سكران يتضاحك بشكل متقطع ، يسير متمايلاً عبر البروز . ابريق البيرة الانكليزية لا يزال في يده يقذف الإبريق بعيداً ، يندفع بوحشية . ينهض بيلي عن سريره يتوجه إلى النافذة بجانب ثورو . وينظر كلاهما إلى الخارج » .

بيلي : لقد غاص عميقاً جداً .

« ومع نغم متكسر لأغنية سكرى ، يلوح السكير بيده » .

هنري : غريق وسكران بالمز والحضارة .

بيلـي : هل تشرب ؟

هنـري : وانت هل تشرب ؟

بيلـي : عندما أستطيع توفير ثمنه .

هنـري : لا يكلف السكر شيء . لكنه ليس ضرورياً ولا حاجة لنا به . يمكن للمرء أن يكون سكراناً طيلة الوقت . يمكنك أن تسكر من الهواء ، هناك حيث أسـكن .

بيلـي : **« باهتمام مفتون »** .
وأين تسكن ؟عندما يطلقون سراحك ، يمكن أن آتي وأسكر معك . حين يطلقون سراحك ، إلى أين ستذهب ؟

هنـري : الى الغابة بجانب البركة .
« تتناهى الى مسامعنا معزوفة ناي مع اسقاط للأوراق الخضراء » .

بيلـي : بعيداً عن كل شيء ؟

هنـري : آه ، حيث أسكن ، لدي عدد كبير من الأصحاب لكن ليسوا من البشر .

بيلـي : الا تخاف ؟ في الليل والعتمة ؟

هنري : ولم الخوف ؟ جميع الساحرات قد شنقن . ولقد ابتكرت الانسانية المسيحية والشموع .

بيلي : تعيش هناك طوال الوقت ؟

هنري : كل الوقت .

بيلي : « بكآبة » .
أرغب بمكان انتمي اليه . أتعجب كيف يستطيع الانسان تحصيل نقود لامتلاك بيت يخصه .

هنري : هل تريد أن تعرف كم كلفني قصري ؟ ثمانية وعشرين دولارا واثني عشر سنتاً ونصف .

بيلي : هائل كنت أظن دوماً أن البيت يكلف ثروة . مئات الدولارات أو أكثر كيف تأكل ؟

هنري : بشكل ممتاز . لدي هناك بقعة فاصوليا ، بعض الذرة واصطاد الأسماك في والدن من وقت لآخر .

بيلي : وفي الشتاء ؟

هنري : في الشتاء يهطل الثلج . لذا لن يكون علي حتى الذهاب الى البركة طلباً للماء العذب ــ أخرج

الى البوابة فقط ، واجلب قبضة من الثلج أذيبه وهو عذب عذوبة السماء .

((يتوارى اسقاط الغابة ، وصوت الناي)) .

آه هناك بعض الأشياء القليلة التي أحضرهـا من البلدة ، لذا أذهب إلى هناك .

((عندها يتقدم هنري الى مقدمة المسرح بعد ان يخلـع احدى فردتي حذائه ويدخـل يده فيها ويخرج اصبعه عبر ثقب في النعل ، يسير مرتدياً فردة حذاء واخرى يحملها ، تخمد الاضاءة على الزنزانة ويعاود بيلي الرقاد على سريره في الظل))

((الوقت اواخر بعد الظهر من يوم تموزي حـار وان البروز (اللسان) عبارة عن شارع رئيسي في كونكورد . بضعة اشخاص يمرون بجـانب هنري . ينظرون اليه باستغراب وفضول ، فهو يرتدي فردة حذاء ويحمل الاخرى بيده بينما هنري يبدو غافلا عن ذلك يهز راسه ، محيياً المارين بفردة حذائه يمر بجانبه ديكون بول ، يرمق هنري بنظرة ازدراء)) .

بـول : هل تنازلت للقيام بزيارة الحضارة ، يا سيد ثورو ؟

هنـري : زيارة مختصرة ، وعلى مضض .

بـول : وكيف هي الحياة بين المتوحشين ؟

هنـري : إذا بقيت في كونكورد وقتاً كافياً ، يا ديكون ، سأتبين ذلك .
« يحييه هنري بفردة حذائه مرحاً ويتابع سيره الأعـرج . »
« يسير سـام ستابلز متمهلا صوب هنري . ويمسك قطعة ورق باشمئزاز »

سـام : « يسعل »
هالو هنري

هنـري : آه ، هالو سام .

سـام : ماذا أصاب قدمك ؟

هنـري : قدمي بخير . لكن حذائي مريض .
« يهز إصبعه عبر الثقب في النعل »
والإسكافي سوف يعالجه .
« يهم هنري بالسير »

سـام : هنري ـ أواه ـ لدي هنا شيء ما لك .

هنري : أوه ؟

سـام : ((بارتباك))
يمكنني أن أفهم كيف يمكن للمرء أن ينسى ـ إن كان مشغولاً مثلك بالكتابة عن الطيور ومحادثة الأسماك وغيرها من الأشياء الأخرى التي تقوم بها هناك . من الطبيعي بالنسبة لك أن لا تفكر بالضرائب .

هنـري : لا لا أفكر بالضرائب .

سـام : لكن دفعها لا بد منه .

هنـري : لماذا ؟

سـام : إنه القانون . لأنك تنسى يا هنري . يمكن ان يفاجئك أن تعلم بأنك لم تدفع ما يترتب عليك من ضرائب طوال عامين .

هنـري : بل ستة أعوام .

سـام : ((بحزم))
لدي هذا الأمر . ويجب أن أبلغك إياه .
((ويدفع بالورقة الرسمية الى هنري))

هنـري : ((بنوع من الهدوء المتعجرف))
لماذا ، شكراً ، سام .

« يأخـذ هذه الورقة ينظر فيها ، يطويها ببطء يجعّدها باعتناء ويدسها في فردة حذائه من ثم يلبس هذه الفردة . ويسير بضع خطوات »

تمام ، تناسب بشـكل رائع هذا ما أحتاجه بالضبط . ربما لـم يعـد عليّ الذهاب الى الإسكافي .

ســام : **« منزعجاً »**

لكن هذه الورقة رسمية ، يا هنري ، لا يجوز أن تدسها بهذا الشكل .

هنري : ولم لا ، إنها أفضل شيء حصلت عليه من الحكومة حتى الآن . على الأقل الأكثر عملية .

ســام : انظر ، لا يسرني ذلك كله أنا أيضا ، ابلغك أمر المحكمة هذا عمل غير سار أحياناً .

هنـري : عندها اترك وظيفتك . إذا كنت لا ترغب أن تكون شرطياً يا سام ، استقل .

ســام : لكن الناس يحتاجون لمن يقوم بهذا العمل .

هنـري : تعمل من أجل الناس إذاً ؟

سـام : نعـم .

هنـر ي : حسناً ، انا (الناس) ـ وليس عليك العمل من اجلي . انت حر . انت مطرود إذا كان ذلك يجعلك اكثر سعادة .

سـام : انظر يا هنري . هل ستدفع الضريبة ام لا ؟

هنـري : هل تدفع انت ضريبتك ، يا سام ؟

سـام : إذا لم ادفعهـا ، سيكون من واجبي توقيف نفسي .

هنـري : هل ستوقفني ؟

((توقف طويل . ينظـر الرجلان احدهما الى الآخر بهدوء))

سـام : لا ارغب في ذلك يا هنري . لكن الحكومة تتشدد بخصوص الضرائب خلال هذه الحرب .

((هنري هادىء جـداً إنما بدا الدم يغلي في عروقـه))

لكنـه ليس مبلغـاً كبيراً على اية حال . إذا استكثرته سأتكفل به .

هنـري : « منفجراً »
إياك أن تتجرأ !

ســـام : بمثابة دين ، فقط . تستطيع أن ترده عندما . . .
« والآن انفجر جميـع الغضب المصهور داخل هنري دافيد ثورو مثل حمم بركان ثائر » .

هنري : لن ادفع بنسـا نحاسـيا واحـدا إلى حكومـة ظالمة ! أنـا لم ادفع العشر(*) ولا التعرفـة الى الكنيسة ، لذلك أعلنت براءتي من الكنيسة! حسنا والآن مستعد يا سام لأعلن براءتي من الحكومة . أين أوقع ؟ أين ؟

ســـام : ليس باستطاعتك فعل ذلك .

هنـري : لماذا لا استطيع ؟

ســـام : « بضعف »
حسنا ، حتى الرئيس عليه إطاعة القانون !

هنـري : يا للرئيس المسكين ! وماذا عن المحافظة على شعبيته والقيام بواجبه . إنه لا يعرف ما الذي ينبغي فعله .

(*) العشر : هو عشر الغلة او الاموال التي تدفع للكنيسة .

سـام : إذا قالت الأغلبية .

هنـري : أنا الأغلبية . أغلبية الواحد !

بـول : ((من طرف الحشد))
أوقفـه !

سـام : ((متذمراً))
لا أريد أن أوقفه .

هنـري : تصرّف ، أيها الشرطي . لا يمكن لرجل شريف أن يدخل هذه البلدة ليرتق حذاءه أو حتى فردة حذائه .
((يخلع حذاءه من قدمه بقوة ، ينتزع الورقة من داخله ويلوح بها))
من دون أن يتجمع جيرانه ـ حوله ليضربوه بمؤسساتهم القذرة .
((وللمرة الأولى ، يدرك هنري أنه محاط بحلقة صغيرة ـ من الناس فيتوجه إليهم والى سام بالكلام على حد سواء))
سأقول لكم هـذا . لو كان هناك ألف رجل ـ مائة رجل ـ عشرة رجال ـ عشرة رجال شرفاء فحسب ـ إذا كان هناك رجل شريف

واحد في ولاية ماسياشوتس هذه لديه القناعة والشجاعة لإعلان انسحابه من هذه الشراكة غير المقدسة وتحمل السجن ، فسيكون ذلك بداية حرية حقيقية تفوق ما شاهدناه منذ أن قام بضعة مزارعين شجعان بقطع الطريق ومحاصرة بريطانيا .

((ويشير بيده بعيداً))

صوت آخر : خارج عن القانون !

هنـري : وهل هناك قانون يقف مع حرية الانسان ؟ على البشر تحرير القانون . وإذا كان القانون خاطئاً فان واجبه أن يقف ويعلـن ذلك . حتى ولو أراد مجتمعه الشاذ أن يزج به في السجن .

مزارع : هذه ثورة !

هنـري : نعم يا سيد ، هذه ثورة ! وماذا تظن قد حصل على جسر كونكورد ؟ اجتماع للصلاة ؟

((مشيراً ثانية . وبتأكيد))

سـام : ماالذي تحاول فعله ، يا هنري ؟ إلغاء جميع القوانين ؟

هنـري : قدر ما أستطيع .

مزارع : ولمَ هذا الحمام كله ؟

سـام : لا يريد دفع ضريبته .

المزارع : وانا لن ادفع .

سـام : « مشيراً الى هنري »
ياه ، لكن هو ضد دفع الضريبة .

المزارع : يا هنري ، سوف يقلبون معدتك . إذا اندفعت
الى الشارع كالمجنون ضد المجتمع .

هنـري : المجتمع هو الذي (يندفع الى الشارع كالمجنون)
ضـدي . أنا ذاهب الى الإسكافي وحسب .
لا أهتم بشيء آخـر . لا أطلب من الحكومة
شيئاً . لماذا يجب أن تأخذ هي مني ؟

بـول : ارم به في السجن !

هنـري : ماذا تنتظر ، يا سام ؟ أخرج الأصفاد . جرني
الى السجن .

سـام : لا بد من أن يكون هناك خطأ عظيم عندما تمتلك الانسان رغبة كهذه بالذهاب الى السجن !

هنـري : المسألة بسيطة جداً.ما تفعله حكومة هذا البلد يقلب معدتي ! وإذا أبقيت فمي مغلقاً ، فأنا مجرم . امام ضميري . أمام ربي ، أمام المجتمع، وأمامك أنت يا سام ستابلز . تريد مني دولاراً ؟ إن لم تحصل الطريقة التي سيصرف بها هذا الدولار على موافقتي ، فانك لن تناله أبداً .

سـام : أقسم انني لا استطيع ان اتصور مالذي يجعلك بهذا البخل ، يا هنري .

هنـري : هل سمعت بما يفعلونه في واشنطن ؟

سـام : أنا ـ حسناً ، ليس لدي الوقت لقراءة الصحف . كما انني اقرأ ببطء .

هنـري : افتح أذنيك ، عندها واكتشف مالذي يشغل مستخدمك في البيت الأبيض .

سـام : إنه ليس رئيسي فقط ، هو رئيسك أيضاً .

هنـري : لا يا سيد . انا لا ادفع مرتبه . هو مطرود من وظيفته !

سـام : أنت تحتـرم الدكتـور إمرسون وتقدره عاليـاً أليس كذلك ؟

هنـري : عادةً .

سـام : لقد سدد ضريبته .

هنـري : تلك مشكلته . أنا لن أدفع الضريبة .

سـام : كل ما أعرفه ، ليس من المناسب زج رجل من هارفورد في السجن وخاصة ثورو . أنا لم أعرف رجلا أشرف منك يا هنري .

هنـري : هل هذا إطراء ، يا سام ؟

سـام : نعم ، يا سيد .

هنـري : شكراً لك . والآن زجَّ بي في باستيلكم .
« يمد يـديه لوضع الأصفاد عليهما . يتنهد سام ، ينظر حوله على الحشد الصغير مـن رجالات البلـدة . يهز كتفيه بلا مبالاة ودون أمل ، ويقود هنري مبتعداً . وتخيم فترة صمت مليئة بالتوقع »

المزارع : من الأفضل أن يذهب أحد ما ويخبر أمه .

امراة : لكن لا تدعوا خالته نويزا تعرف بذلك . لسوف تصاب بنوبة هستيريا .
« تفكر المراة وتقول باستمتاع »
انا ذاهبة لإخبارها !
« تخرج مسرعة . يتبعثر الحشد في مختلف الاتجاهات،ويتلاشى الضوء عن مقدمة المسرح.»
« يدخل هنري وسام الى الزنزانة . بيلي على السرير متدثراً ببطانية . لا يدرك هنري في البداية ان معه زميل في الزنزانة . سام يحمل حلقة مفاتيح حوله » .

سام : ليست زنزانة ممتازة ، لكنها نظيفة .
« يرسل بيلي شخرة قوية » .

هنري : وموسيقا ، أيضاً . مهدئة للأعصاب .

سام : **« بينما يبلل برية قلم الرصاص في فمه » .**
والآن يا هنري يجب أن ادون عمرك .

هنري : تسعة وعشرون ربيعاً .

سام : **« يكتب بصعوبة » .**
إثنين ـ تسعة . العمل ؟

هنري : لماذا تريد ذلك يا سام ؟

سام : إذا لم أملأ السجل بدقة ، فإن الإدارة لن تصرف مخصصاتك من الطعام .

هنري : ((**مشيراً برأسه تجاه النائم**)) .
ما عمله ؟

سام : هو ! متشرد .

هنري : أنا أيضاً متشرد .

سام : ((**منزعجاً من كل ما يقوم به**)) .
يا هنري ، هذا ليس عمل بل تهمة أخرى !
أعطني مهنة ما لأدونها . من أنت بدقة ؟

هنري : من أنا ؟
((**مفكراً**))
آه ، حاذق فاصوليا ، صياد سمك ، مراقب للعواصف الثلجية ...

سام : ((**بنفاذ صبر**))
هذه مهن غير مقبولة .

هنـري : تريد مهن محترمة ؟ لنرَ . صانع أقلام رصاص
— في فترة ما . معلم مدرسة — ذات مرة .
مراقب نجار . مؤلف — مدعي . صائداً لتوت
العليق — خبير ...

سـام : ((يكتب))
نجار . هذه مقبولة .

هنـري : انتبه يا سام . لسوف تصدم رجال الدين إذا
سجنت نجاراً .

سـام : ((بعد تفكير قليل))
سُجِلت .
((يغلق السجل بقوة ويخرج ، هازاً راسـه . تتحول الإنارة في الزنزانة إلى ظـلام بالتدريـج وببطء وثمة اصوات ملحاحة ومتنافرة لجـرس منزل . تقع الإضاءة على منزل امرسون . تظهر ليديان في قميص النوم تقرا ورقة تمسكها بارتباك واهتمام)) .

صوت والدو : ((من بعيد))
من هناك ؟ سأفتح .

ليديان : أخذتها ، يا عزيزي .
« يظهر والدو في رداء الليل ، ويلبس قلنسوة النوم »

والدو : **« بشكل متكاسل »** .
سأفتح ، سأفتح . آه ، ليديان ـ ماذا تفعلين هناك ؟

ليديان : **« إلى والدو ، مشيرة إلى الورقة »**
تتعلق بهنري . إنه في السجن .

والدو : يارب مساعدتك ! لماذا ؟ ماذا فعل ؟

ليديان : ليس واضحاً

والدو : قتل ديكون بول ! أحد أعمال الرحمة التي يقوم بها هنري !

ليديان : لا ـ

والدو : هل وجدوا ديكون بول مقتولاً ، ويتهمون هنري؟!

ليديان : لا

والدو : آه ؟ سيء جداً . دعيني ارى ذلك .

« تناوله الورقة . وفي نفس الوقت تنزل الإضاءة على مدام ثورو شديدة الإضطراب »

الأم : كل ليلة ، يا لويزا . كل ليلة أرى هذا الكابوس المريع . أحلم أن دافيد هنري في السجن . لكن هذه الليلة لم أضطر للذهاب إلى النوم !

« تختفي الإضاءة عن مدام ثورو . وفي الزنزانة، يدخل سام مرة أخرى ويقف على بوابة الزنزانة»

سـام : قبـل أن أخلع حذائي هـذه الليلة ، يا هنري ، لماذا لا تسدد ماعليك وتدعني أتركك تخرج من هنـا ؟

هنـري : **« بلطف »**

إخلع حذاءك ، ياسام .

« مايزال سام متردداً . وفي منزل إمرسـون ، استيقظ والدو تماماً »

والدو : ياليديان . يجب أن ألبس حذائي . أين معطفي ؟ يجب أن أذهب إلى ساحة كونكورد !

« يجلس والدو ويلبس حذاءاً مدببا بـدون جوارب. تناوله ليديان معطفه الخارجي الأسود، ويلبسه فوق قميص النوم » .

ليديان : سوف تذهب على هذا النحو ؟

والدو : وقع هذا الشاب في ورطة !

« ينطلق . تخلع ليديان قبعة الليل بسرعة ، بينما يسرع والدو مبتعداً . ويتلاشى النور عن منزل إمرسون »

سـام : **« راجياً »**

أرجوك أن تدفع يا هنري .

« كان هنري كالبركان في السابق . لكنه الآن بارد وصارم »

هنـري : حين تطلب مني أن أدفع ثمن بندقية ، فذلك يساوي أن تطلب مني أن أطلق بها ! وأنت تريد أن تجعل مني قاتلاً مثل أي جندي من المشاة ينتهك حدود المكسيك البعيدة ، وينتهك حرمة منزل جاره ليضرم النار فيه ويقتل أطفاله !

« يتملى الرجلان احدهما الآخر . مرتبكاً يهم سام بالمغادرة يذهب هنري إلى السرير . ويصرخ ».

ياسام !

« يعود سام بخطوات مسرعة وتوقـع ، ظاناً ان هنري قد غير رأيه »

لقد نسيت مفاتيحك
« يتناول سام رزمة المفاتيح »

سـام : **« محبط »**
أوه .
« يأخذها ، يخرج ويغلق الباب . يحدق هنري خلال القضبان ، مصيخاً إلى صمت الليل في البلدة . ومن مؤخرة المسرح ، وكأنه صوت يخترق ساحة الكونكورد ، صوت يقطع الصمت »

والدو : هنري ! ياهنري ! ماذا تفعل في السجن ؟
« يستدير هنري ، وبشكل مواجه ، مستجيباً للتحدي »

هنـري : **« بتحد وباتهام واضح يشير عبر ساحة الكونكورد »**
يا والدو ! وماذا تفعل انت خارج السجن ؟
« وتطفأ الأنوار »

ـ نهاية الفصل الأول ـ

الفصــل الثـاني

((يتسلط الضوء على زنزانة السجن ، يمر ضوء القمر عبر القضبان من زاوية جانبية . السريران غير مضائين ، إنما يسقط الضوء على الساحة الواقعة بينهما . تدق ساعة البلدة مرتين ، ويكشف الضـوء الخافت بالتدريج شـكل رجلين يبدوان دون حراك : نائمين . يتحرك هنري ، يسعل، ينهض بانزعاج ، يتمشى عدة مرات، يذهب الى النافذة ذات القضبان . يرفع يده في الإضاءة البيضاء لنور القمر . يلمس القضبان . ومن ثم ، بنوع من شطح الخيال يتظاهر باقتلاع القضبان كما لو كانت القضبان أوتار قيثارة))

هنـري : ((مقلداً أوتار القيثارة))

تنك ... تنك ... تنك ... تانك .

((يخلط القضبان كما لو انه يعزف بتسارع على الأوتار . ويتوقف فجاة ليلتفت الى زميله في الزنزانة)) .

هناك في سجن السماء ، يعزف الملائكة الموسيقى

على هذا النحو .

« يتمشى » .

لقد اخبروني بذلك .

« يتمشى اكثر » .

من دون أن أكون هناك .

« يتمشى اكثر » .

وغير راغب بالدعوة الى هناك .

« يجلس هنري على سريره ويتحدث الى بيلي النائم »

هل تعرف ما قالته الحكومة ، يا بيلي ؟ **« نقودك أو حياتك »** لن أعطيها نقودي وهم يظنون أنهم أخذوا حياتي !

« يضحك قليلاً »

فقط جسدي . أنا إنسان حر . حر في ملامسة أنفي إذا أردت

« يلامس أنفه »

وحرٌ في أن لا المسه .

« ينزل يده »

حر في الوقوف . أو عدمه . لا يستطيعون سجن أفكاري ! وما أؤمن به يخرج بسهولة عبر هذه الجدران ــ وكأن الحجارة هواء .

« يـومىء الى الأمـام ــ حيث لا جـدار ــ في الحقيقـة »

الدولة خائفة جداً منا يا بيلي ، لذلك حبستنا .
إن الدولة خجولة كأرملة مـع ملاعقها الذهبية !
لقد أرعبناها حتى فقدت صوابها .

« أضواء الإنارة على ليديان »

ليديان : لديك من الذكاء ما يكفي يا هنري لتدرك أنه لكي تستمر يجب ان تتقدم !

« هنري ينفجر ثانية مثل بركان »

هنـري : **« يصرخ ، بقرف »**

تقدّم ! تقدّم تقدّم !

« تتناول ليديان سلة فريز صغيرة »

ليديان : يا إدوارد ؟

« يأتي الصغير راكضاً إليها »

أذهب مع السيد ثورو .

إدوارد : الى أين سنذهب ؟

« يتمشى هنـري من الزنزانـة الى البروز . يرتدي بسرعة وإناقة قبعة من القش عريضـة

الحواف كان ارتداها من قبل وصار البروز مرجاً مشمساً »

هنـري : لاصطياد توت العليق ، يا ولدي ! هل ترغب دراسة تأليف الموسيقى مع موزارت ؟ والرسم مع مايكل انجلو ؟ ودراسة صيد توت العليق مع نورو ، إنه الأمر نفسه !

« يضحك إدوارد ، تتوارى ليديان بينما يسير موكب صيادي توت العليق عبر الحقل الطافح بأشعة الشمس »

والآن ، عندما كنت في مثل سنك ـ هـذا إذا حدث وكنت يوماً بعمرك ـ كانت أمي تطبخ لنا فطيرة توت العليق . وكانت الفطيرة الأفضل في كونكورد . وكانت الفطيرة هي كل ما كنا نأكله أمي ، أبي والعم تشارلي والخالـة لويزا وأخي جون . وكان لي الفخر باكتشاف توت العليق ! مغامرة برية ، نصف يوم تحت سماء كونكورد .

إدوارد : كيف تجد توت العليق ؟ أريد اكتشاف بعضها !

هنـري : **« مفشياً سراً كبيراً »**

من الصعب العثور على توت العليق . لأن معظم

الناس يعتقدون انه بعيد ، هناك !
« ويشير بإشارة دراماتيكية »

إدوارد : وهل يجب عليّ الذهاب الى هناك ؟

هنري : لا يا سيد ! أفضل أنواع العليق هي تلك الأنواع الماكرة — تتواجد — بالضبط — حيث — انت — تقف هنا !
« ينحني بسرعة ، يلتقط توتة عليق متخيلة »
والسر هو : عليك أن تعرف أين تقف !

إدوارد : «يقطف واحدة »
هل أستطيع تذوق واحدة ؟ الآن ؟

هنري : « مفكراً »
حسناً ... نعم . لكن مقابل كل واحدة تاكلها ، عليك اخذ اثنتين الى البيت .

إدوارد : « متذوقاً »
همم ... إنها لذيذة ! أين سلتك ؟

هنري : أستعمل قبعتي . لأن راسي بحجم فطيرة توت العليق تماماً !

« يركض إدوارد في كافة الإتجاهات ، يبدو انه يجمّع توت العليق »

إدوارد : **« يصرخ »**
هناك بقعة كاملة منها هنا !

هنـــري : آههه ، أنت موهوب دون شك .

إدوارد : **« يركض من أجمة ألى اخرى »**
لنتسابق ونرى من سيقطف توتاً أكثر .
« لكن هنـــري ليس بمتسابق . كـــان يتوقف ليتذوق التوت »

هنـــري : **« يبتلع توتة سعيدة »** !
كانت توتة عليق سعيدة !
« كان إدوارد الصغير يتوغل بين الأدغال ويمسك قبضة من توت العليق بأسرع ما يستطيع ! »

إدوارد : انظر ! قطفت أكثر منك !

هنـــري : الجميع يفعلون ذلك !
« بتراخ مدروس ، يقطف هنري التوت ، يقذفه في قبعته . يبـــدو هدوءه وراحتـــه على نقيض نشاط الغلام وسرعة حركته . ويبدو هنري انه

يختار التوتة الدقيقة من كل أجمة ـ تلك التي نعد بالنكهة الأفضل »

إدوارد : كيف حصل توت العليق أن صار توت عليق وليس فراوله ؟

هنري : حسناً ، هناك العديد من الكتب حول هذا الموضوع . لكن لقاءك بتوت العليق يجعلك أكثر أكثر خبرة من أي عالم نباتي كتب كتاباً غبياً .
« والآن ملأ إدوارد سلته تماماً وجاء راكضاً مبتهجاً الى هنري ، لعرضها عليه » .

إدوارد : انظر ! انظر يا هنري ! سلتي مليئة تماماً . كان على أمي أن تعطيني سلة أكبر .
« يتعثر إدوارد فجأة أثناء الركض ، يسقط وتتفرغ سلة لتوت الخيالية بالكامل على الأرض . يرعب إدوارد الحادث. وتتحول النشوة في عينيه البراقتين الى دموع »
جميعها إنسكبت وفسدت !
« يجثو على ركبتيه ، يضع ذراعه حول كتفي الولد المكتئب ، الذي يتنهد دون توقف » .

هنـــري : ألا تعرف ماذا فعلت ؟ لقد زرعت بقعاً كاملة من توت العليق ، من أجـل جيـل من أولاد إدوارد إمرسون !

إدوارد : أنا قد . . . ؟
« عبر دموعه المتهامدة »
كيف ؟

هنـري : لأنها هذه هي حالة الأشياء . لقد اشترطـت الطبيعة أن الأولاد الصغار الذين يجمعون تـوت العليق يجب ، بين فترة وأخرى ، أن يسكبوا ويبعثروا حبات التوت ، يا إدوارد ، فلقد كنت مفيداً مثل نحلة العسل !

إدوارد : « بابتهاج » .
لنقطف ثانية ونبعثرهـا !
« بشك يمسح إدوارد عينيه بكـم قميصه ، منتصراً على بؤسه السابق . يفرغ هنري قبعته المليئة بتوت العليق في سلة إدوارد . ويرفع نظره في وجه هنري » .
لكن هذه لك . . . !

هنـري : « بمهابة » .
أتنازل عن ملكيتي .

إدوارد : ماذا يعني ملكيتي .

هنــري : مثــل معظم شعوذات الملكيــة ، لا تعني شيئاً بالإطلاق .

« يمسك إدوارد بيد هنري » .

إدوارد : هنري . أتمنى لو كنت أبي ... !

« ينظر هنري الى الطفل ، متمنياً لو كان لكنه لا يقولها . تبتعد الإضاءة عنهما وتسقط في الوقت نفسه على ليديان ، التي تجلس وتكتب رسالة . ترفع نظرها عند دخول هنري وإدوارد الى فناء دار إمرسون . إدوارد يؤرجح سلة توت العليق المستعار ... لكن يؤرجحها بحرص » .

إدوارد : **« راكضاً الى أمه »**

هذه لك يا أمي !

« ويعطي السلة الى ليديان » .

ليديان : يا لها من هدية ! شكراً لك يا إدوارد .

إدوارد : **« الصدق اجبره على القول » .**

أعتقد عليك أن تشكري هنري في الحقيقة يا أمي

ليديان : **« مصححة »** .
السيد ثورو ، يا عزيزي .

إدوارد : يقول هنري انه يجب أن أناديه ب « **هنري** »
« **يضحكون قليلا** » .

إدوارد : ويا ماما طلبت من هنري أن يصير أبي .
« **تنظر ليديان وهنري أحدهما الى الآخر . يهز هنري كتفه بلا مبالاة ، وبإرتباك قليل** » .

ليديان : آه ؟ وماذا بشأن والدك الحقيقي ؟

إدوارد : إنه غائب دوماً . بعيد دائماً على الجانب الآخر من المحيط أو في الخارج يلقي خطبة في مكان ما ، أو فوق ، في مكتبه حيث ، لا أستطيع إقلاقه لكن هنري —
« **توقف قصير** »
— هنا .
« **تتردد ليديان ، من ثم تناول السلة الى إدوارد** »

ليديان : خذ توتاتك الى المطبخ ، هل فعلت يا عزيزي ؟
« **يبتعد الطفل ، ثم يعود ، عند حافة الاضاءة** »

إدوارد : « **مع فكرة جديدة** »
إذا كان هنري أبي ، يعني ذلك انك حصلت على

زوج ، يا أمي . إنه لا يغيب في انكلترا أو في أي مكان آخر طوال الوقت ، إنما هنا في بيتنا . الن يكون ذلك رائعاً ، بالنسبة لك ؟

« يتبادل هنري وليديان النظرات ، ويبتعد الطفل »

ليديان : أنا — أنا أفترض أنه ليس من المناسب أن تتابع عملك هنا بينما والدو بعيد عن المنزل .

هنري : أرجو الا تخافي مني . . .

ليديان : الا ينبغي ذلك !

« تنهض وبتضايق »

آه تريد أن تقول بأنك تحترم حكيم كونكورد كثيراً !

هنري : وزوجته أيضاً .

ليديان : الاحترام يقوم على الصداقة . وتقوم الصداقة على الحب . والحب هو — طارىء . أليس كذلك ، يا هنري ؟

« يرطب هنري شفتيه » .

هنري : نحب دون أن نعرف بذلك . والرجل — أو المرأة — لا يستطيع الحب وفق جدول . فأنا لا أستيقظ في الصباح لأقول :

[سوف أبدأ الحب في الساعة التاسعة وعشرين دقيقة وأستمر في الحب حتى العاشرة والربع]
نعم إنه طارىء ـ وهو في كل مكان ـ إنه الريح، المد ، الأمواج ونور الشمس .

ليديان : **« بهدوء جداً »**
هنري . إذا كان الحب يحيط بك مثل توت العليق ـ فلماذا اخترت التوحد ؟
« يظهر إدوارد مندفعاً يحمل دجاجة حية تتخبط محتجة »

إدوارد : ماما ! هنري ! انظروا ماذا حدث لقدم الدجاجة!
« يرفع الطفل الدجاجة »
إنه يلبس القفازات .

ليديان : لا ، إدوارد ، لا يجوز يجب أن تقول ـ تلبس القفازات !
« تلتفت ليديان الى هنري بارتباك »

هنري : **« مرتبك قليلا أيضاً »**
في اليوم التالي الذي قلتِ فيه بأن الدجاجات ينبشن حديقتكم ويقتلعن جذور ورودكم .
أعطيت قليلاً من الأناقة لسيدات قم الدجاج .

وهكذا فهن الآن ينبشن باطن قفازاتهن . وصارت ورودكم في مأمن منهن .

ليديان : **« تتفحص قفازات الدجاجة »**
وهل ألبست هذه لجميع الدجاجات ؟

هنــري : انا معــارض للتمييز الإجتماعي . إن ألبست دجاجة قفازاً فلن أقبل خروج السيدات الأخرى عاريات المخالب .
« يضحكون بمرح »

إدوارد : **« بتوق »**
هل أستطيع أن آخذه وأعرضه على الجميع ؟

ليديان : لا تقل آخذه بل آخذها ، يا عزيزي . نعم كما تريــد .

هنــري : لا تنس أن تعيد السيدة الى المنزل وترتج الباب وراءها . إذا كنت تريد بيضاً مقلياً على الفطور .
« يركض إدوارد حاولاً معه الدجاجة »

ليديان : ورودي تشكرك .

هنــري : آه ، أهلا وسهلا بها .

ليديان : تزوج يا هنري . جد لك امرأة ـ علّم نفسك حبهـا .

هنـري : لدي امرأة .
« ترمقه ليديان بنظراتها »
لكني عازب عنيد وفظ . وحماتي هي الطبيعة .

ليديان : هناك كثير جداً من الفتيات الشابات الجميلات . .

هنـري : لسوف أوصلهن سريعاً الى الشيخوخة . وأنا لست متوحشاً .

ليديان : أنت بحاجـة الى رأس يـرتمي على الوسادة بجانبك . ماذا بشأن مارغريت فولار ؟
« يكرر هنري الاسم ، كما لو كان يشطفه في فمـه »

هنـري : مارغريت ـ فولار ـ ؟ آه ، لا يمكنني الزواج منهـا .

ليديان : ولماذا ؟

هنـري : أولاً أنا لست احمق لأطلب منها ذلك . وثانياً هي لم تكون أبداً غبية لتقبل طلبي .

((مستديراً))

هل تودين أن تكوني خطّابة ، يا ليديان ؟ جدي لي شيئاً ما بريئاً وطبيعياً وغير معقد . شجرة بلوط . غيمة . ورقة تائهة في عاصفة ثلجية .

ليديان : لكن أليس ذلك وحدانية ، يا هنري ؟

هنـري : وحدانية !

((يضحك))

يا ليديان لست وحيداً أكثر من نجمة الشمال أو الريـح الجنوبية أو أول عنكبوت في منزل جديد .

((ويضيف بلطافة))

وماذا عن وحدانيتك ، أنت ؟ هل يكفي أن تمضي كل ليلة الى الفراش وليس معك سوى رسالة من إنكلترا ؟ لتخبرك عن هوى زوجك الجارف تجاه كلرليك ؟

((تخفض ليديان نظراتها . يمد هنري يـده يلامس كمها))

ألا يدعو للشفقة أنك آمنة جداً معي ؟

((وسط نقاش يظهر بيلي في الزنزانة))

بيـــلي : أخاف من المحكمة . لم أجد محامياً . الطعام ليس سيئاً جداً هنا .

« يعود هنري الى الزنزانة وتبتعد الإضاءة عن ليديان »

هل تصير محامي ؟

هنـــري : **« يتوقف »**

انا لست محامياً !

بيـــلي : الا تصير واحداً وتـدافع عني ؟ تتحدث مثلهم . وانت أنيق مثلهم .

هنـــري : يا بيلي ، اعطيك معطفي أو حذائي أو آخر حفنة فاصوليا ، لسوف أقطع الخشب لك أو أدفع عربة من أجلك لكن لا اتنازل وأكون محامياً لأي كان ! أظن أن إبليس كان محامياً . لهذا السبب لا يزال الشيطان يقدم النصح للرؤساء .

بيـــلي : من أين سأجلب محامياً ؟

هنـــري : لو كنت إلها يا بيلي ـ وليس مجرد جزء منه ـ لما تركتك تموت بعيداً في الظلام .

« ينهض بيلي عن سريره مرتعباً »

بيـــلي : قل لي ما أعمله .

هنــري : **« يحك ذقنه »**
حسناً ، يمكن أن تحاول الولادة من جديد في عصر أكثر عدالة وكرماً . هذا ليس اقتراحاً عملياً جداً ـ
« فكرة أخرى »
أفترض أن تحاول الصلاة .

بيـــلي : أنا لا أعرفها .

هنــري : وأنا كذلك .

بيلـــي : لكن هل يمكنك أن تصلي من أجلي ؟

هنــري : وهل الرب غائب الى هذا الحد بحيث أنه لا بد من أن نربت على كتفه ـ لتذكيره أن آدم له أولاد ؟

بيـــلي : الصلاة لا تؤذي أحداً .

هنــري : حسناً لنرسل برقية الى الله .
« يشبك اصابع يديه في حالة شبه إجلال »
مباركون هم الشباب ،

لأنهم لا يقرؤون خطابات الرئيس .
مباركون من لا يقرؤون جريدة ، لأنهم سوف يرون الطبيعة والله من خلالها .
ومبارك بيلي ، لأنه فتى طيب ويستحق معاملة أفضل مما تعطونه —
مع أنه إنسان متعلم .
آمين .

بيــلي : آمين . هل تظن أنها ستصل ؟

هنــري : لا أعرف . أنا لا أصلي بالكلمات عادة . أفضل النــاي .

((بينما يغوص بيلي في سريره من جديد ، تخفت الأضواء في الزنزانة .

يتحرك هنري الى مقدمة المسرح وسط ضوء الشمس الكرمائي ، وتكتسي خلفية المسرح من جديد بنسيج من أوراق غابة والدن . يتناول هنري نايا ويبدأ بعزف لحن غريب ومسالم — لحن رعوي غير مألوف من وحي الغابة . أثناء ذلك يتسلل شكل رجــل غير مميز من مكان تواجــد الأوركسترا في مقدمة المسرح . يدب هنا الرجل عبر الأجمة منحنيا من الخوف ،

بحيث لا يلاحظ هنري وجوده . إن هذا الرجل هو وليمز ، رجل اسود يرتدي ثياباً مهلهلة ووسخة . إنه ضخم الجثة لكنه مرتعب .هنري حتى الآن لم يلاحظه ، لكن الرجل يظن نفسه مكشوفاً لذلك يقفز وراء اجمة خيالية اخرى. ومع تنهيدة يضع هنري نايه جانباً وينحني ليلتقط شيئاً ما على الأرض . يظن وليمز أن هنري يتناول بندقيه ما . فيقفز في الهواء من وراء هنري المندهش ، ويضع كفه الضخم على فم هنري . »

وليمز : لن ترفع بندقية في وجهي .

« يندوّر هنري بهدوء ذراع المِعذقة التي التقطها عن الأرض . يتراخى وليمز قليلا ، ويبعد يده عن فم هنري . »

هنري : ظننتها بندقية ؟ البندقية لا تصلح لعذق الفاصولياء .

« إنه لطيف »

هل تمانع إن تابعت عملي ؟

« وليمز خائف ومتردد »

ليس هناك سلاح ناري على بعد ثلاثة أرباع الميل من هنا .

« يتحرر هنري مـن القبضة ويبدأ بالعنق . بينما الأسود يراقبه . »
كيف لي أن أساعدك ؟

وليمـز : أنا جائع . أعطني بعض الطعام !

هنـري : حسناً ، اجلس يا جاو . ثلاثة أسابيع وتعطي هذه الفاصولياء الحب .

وليمـز : حتى وقتها سأنام مع الفاصولياء ! أنا راحل إلى كندا .

هنـري : إلى أين ؟

وليمـز : كنده ، كنده ! شمالاً قدر ما أستطيع ! يقولون كلما ذهبت شمالاً ، كلما صرت حراً أكثر !

هنـري : **« بينما يتابع عذقه »**
في الكوخ ، هناك ، ثمة ربع رغيف من الخبز . خذه .
« يتحرك وليمز في الإتجاه الذي أشار إليه هنري ـ من ثم يتردد ويستدير إلى الوراء » .

وليمـز : أنت تثق بي لتتركني أدخـل مكانك ؟ دون أن تراقبني ؟

هنـري : لم لا ؟

« يتوقف وليمز ـ بعد ذلك يقوم بحركة سريعة إلى الظل بينما يتابع هنري بهدوء كبير عذق الفاصولياء . من ثم ينادي هنري تجاه الكوخ البعيد عن المسرح » .

إذا رغبت البقاء حتى العشاء ، سوف أصطاد لك سمكة ـ ما اسمك ؟

« في الحال يظهر وليمز ثانية ممسكاً قطعة خبز يلوكها بنهم » .

وليمـز : **« وفمه مملوء »**

وليمز .

هنـري : انا هنري ثورو .

« يمد يده . يندهش وليمز ـ من ثم يمد يده بتردد لمصافحة هنري لكن في البداية يمسح كفه على ساق بنطاله » .

وليمز اسمك الأول أم الثاني ؟

وليمـز : إنه كل اسمي .

« فجأة »

لكن أنا لست عبداً . أنا لن أعود لأكون عبداً . لن يأخذني أحد ثانية .

« ويتابع بحماس »

لقد ولدت منذ أسبوعين .

هنــري : حسناً فعلت ياسيد وليمز .

وليمــز : كنت أنتمي للسيد وليمز . كنت وليمز السيد وليمز لا أكثر .

« يتفحصه هنري بنظراته . وليمز قلق » .

هل ستعيدني ؟

هنــري : ليس لدي رغبة وأكره العبودية مثلك . هنا أنت حر مثلي .

« يبدأ وليمز بالتنفس بارتياح أكبر . يتلفت حوله » .

وليمــز : كيف ذلك ، إنك تعيش مثل رجل أسود ؟ في كوخ عبد ؟

هنــري : **« يضحك »**

ربما للبرهان أن الأقل هو الأكثر . كما ترى أنا غني جداً ، لكن لا أمتلك أية نقود فقط ، وهذا كل شيء .

وليمــز : **« لا يزال مشككاً »**

أين زوجتك ؟ والأولاد ؟

هنـــري : حسناً ، عروستي هي بقعـــة الفاصوالياء هـــذه ياسيد وليمز . ولقد تبنيت عــدة مراميـــط . وبضعة سناجب عاقين إلى حدٍ ما .

وليمـــز : لاأحد حتى الآن ناداني بسيد .

هنـــري : من الأفضل أن تعتاد على ذلك . إذا كنت تريد أن تكون إنساناً حراً . ويجب أن يكون لك اسم أول ، أيضاً ــ آه ، ليس من الضروري . لكـــن ذلك عملي أكثر .

وليمـــز : ((**متردداً**))
هنري ، ربما ... ؟ هل أستطيع تسمية نفسي ((**وليمز السيد هنري**)) ..؟

هنـــري : لا !

وليمـــز : ((**مرتعباً**))
لماذا تصرخ علي ؟

هنـــري : انت لست ملكاً لأحد ، ياسيد . سوى نفسك . واقل من الجميع أن تكون ملكي . انتبه ــ و الا سوف تقع في الحال ، فيما تهرب منه .

وليمـز : « **مجرباً** »

هنـري ... وليمـز ...

هنري : إذا لم يعجبك تناسبه هناك اسم « **دافيد** » وهو في اسمي أيضاً ، يمكنك ان تأخذه ، فأنا قلمـا استخدمته .

وليمز : أحببت هنري وليمز ! يبـدو جيداً إنـه اسم لإنسان حر !

« **يفتح يديه على شكل كوب ويصرخ** »

هنري وليمز !

هنري : لكن في الشمال عبودية أيضاً فكل إنسـان مصفود إلى عشر ساعات من العمل اليومي هـو عبـد للعمل . وكل إنسان قلق حول أجرة الشـهر القادم هو عبد للنقود . لا تدع ذلك يحصل لك يا سيد وليمز .

حافظ على حريتك !

وليمز : هنا أشعر أنني حر ـ الآن ـ ! من قبـل أبداً . أنا لست خائفاً الآن .

هنري : ولماذا عليك أن تخاف ؟

وليمز : ((**بحــدة**))
دعني أعيش هنا ؟ لســوف . أجـرب حظوظي مع القانون .
أنا لا اتقن الاختباء ! ولا أحد يعلم أنني هنا !

هنري : أرحب بك . لكــن ... يجب أن تجـد والدن خاصة بك، يا هنري وليمز ! حيث ليس عندهم قوانين مريضة تبقي الناس السود في اضطهاد .
هنــا في ماساشوتس ، لــون وجهـك علـم .
لا تستطيع إخفاء السواد في العماء . وإذا رغبت بشيء من النور في حياتك ، يجب أن تبحث عن مكان للعيش حيث يفكر البشر بأنفسهم كبشــر ـ وليس كبيض .
((**ويضع يده على كتف وليمز**)) .
أرحل إلى كاندا(*) !
((**تبتعد الإضاءة عن الرجل الأسود والأبيض في مقدمة المسرح . لكن في منزل إمرسون يسلط الضوء على والدو في خضم نقاشٍ حامٍ . وقفته ملتوية كمــا لــو يحاول الجمــع بين جانبين ـ متعارضين من قضية ما في وقت واحد .**)) .

---

* **يلفظها هنري كما لفظها وليامز اسم كندا .**

والدو : اقترعت بصــوتي ! فعلت ذلك . وضـــعته في صندوق الاقتراع .
وماذا تتوقع أن أعمل أكثر من ذلك ؟
« يتحرك هنري داخل المشهد »

هنري : **« ملتهباً بامتعاض »**
اقترعت بصوتك الكامل ! ليس مجرد قصاصة ورق ! بنفوذك الكامل !

والدو : **« مستديراً »**
يجب أن نتقدم مــع الأغلبية !

هنري : **« بسخط »**
نتقــدم !

والدو : يا هنري على المرء التفكير بالعواقب الاقتصادية والاجتماعية . وعندما يحاول البيض والسود العيشة سوية ، فإن عواقب هذه المحاولة غــير محدودة .

هنري : **« يضرب قبضته في راحة يده »**
عندها وضّح ! وضح الأمر !

والدو : **« هازاً رأسه »**

تعقد الأشياء أكثر باستعجالها . أنت عالم طبيعة يا هنري . انت تفهم تطور الفصـــول البطيء . والأمر في العلاقات الإنسانية . فأنت لا تستطيع تسريع شروق الشمس .

هنري : ((**بغضب مقيد**))
عندما يقفز إنسان من قطار شـحن يتحرك ــ ويحاول الزحف عبر الغابات ليقطع الحدود إلى كنــدا ــ .

والدو : إلى اين ؟

هنري : ((**بنفاذ صبر**))
إلى كندا ! بلاد أكثر حرية على الرغم من أنهـــا لا تزال ملكية . لكن ليس عندهم ((**قانون العبد الهارب**)) عندما إنسـان ، عند حدود الحرية ، توقفه بندقية رجل بوليس من بوسطن لن يكون لديه الوقت لسماع موعظة الدكتور إمرســـون المتروية حول ((**تطور الفصول البطيء**)) .

والدو : يا هنري ، أنا مصدوم بموت هذا الإنسان مثلك تماماً . ما اسمه ؟

هنري : ((بهدوء))

هنري وليمز . رجل جديد بإسم جديد . لم يكد يستخدمه !

والدو : انا قلق جداً ...

هنري : انت ؟ بالنسبة لك ، هنري وليمز ، لا يعدو كونه فكرة مجردة . يمكنك استخدامها من وقت لآخر كاستطراد في قاعات المحاضرات .

والدو : كيف لك أن تكون كريهاً الى هذا الحد معي بينما احاول أن أتفق معك ؟

((تتصاعد الحرارة بين الرجلين)) .

هنري : كنت أتوقع منك أكثر مما أتوقع من اي شخص آخر ، لذلك أشعر انني مخيب فيك .

والدو : حسناً ماذا تتوقع مني ؟

هنري : كلاماً صريحا واضحاً !

والدو : إنني أتكلم .

هنري : ليس بكاف . اصرخ !

هنري : ليس عبر **((وعاء صوتك))** ! بل بدماغك ! يا والدو انا لا أستطيع الفت انتباه الناس . لا أستطيع

الوصول الى أي كان . لا أحد يعيرني انتباهاً .
« بانفعــال »
لكن يا إلهي ، أنت إمرسون !
« أوشكت عينا هنري أن تدمعا حيث كان يتصارع فيه مزيج من الاعجــاب بوثنه واحتقــار له » .
معبود قاعات المحاضرات ، لورد دائرة المحاضرات كل كلمة تقولها من على المنصة تعتبر كنزاً ، مثل المتاع . قف ، يا والدو ، وقل ما تؤمن به !

والــدو : **« بتشامخ »** .
أحياناً أعتقد أنني اخترعتك يا هنري . أو على الأقل ألهمتك . لأنك تعيش ما أتحدث عنه . أنا لا أستطيع الوجود بطريقتك يا هنري ، أنا أحب إحضار الخبز المحمص الساخن والشاي والبيضة نصف المسلوقة على صينية الى فراشي كل صباح وعندما أفكر فقط ب **« والــدون »** ، أحس بالبرودة . لكني معجب بك ، يا هنري ، فعلا . أنت أخلاقي الماشية !
« يحــدق هنــري في والــدو ، مستغرباً كيف يستطيع المداورة والابتعاد عن النقطة » .
هذه العبارة بحرفيتها هي التي استخدمتها في وصفك لكارليل . هل تعلم أنني أخبرت كارليل عنك ؟

هنـري : ((**مجنط ، يستدير مبتعداً**)) .

لا يهمني ما قلت لكارليل .

والـدو : قلت لكارليل ((**من بين جميع الرجال في كونكورد هنري ثورو هو الأفضل من الجميع ! !**))

هذا ما أخبرته به .

((**مبتهجاً باقتباس نفسه**)) .

« شاعر مليء ببراعم الوعـد ملء شجرة تفـاح فتية » هذا ما قلته .

هنـري : يا والدو لا تتكلم عني ــ تكلم معي . اصغ الي .

والـدو : ((**لا تزال أفكاره في انكلترا**)) .

أو هو ــ ؟ كيف كان ذلك ؟

هنـري : ((**بهدوء**)) .

كيف تستطيع الرقاد في سريرك كل صباح ؟ كيف يجلب الفطور الك ــ بيضتك نصف المسلوقة ، خبزك المحمص وشايك ؟ كيف تستطيع رفـع يدك اليمنى الى فمك بينما يدك اليسرى التي هي انت ايضاً ــ حكومتك ــ تقتل الناس في المكسيك كيف تستطيع البلع يا والدو ؟ كيف تتـذوق كيف تستطيع أن تتنفس ؟ لقد اقترعت بيدك

اليمنى ـ لكن يدك اليسرى قتلت هنري وليمز الراكض ليكون حراً !

والدو : هل تظنني غير مهان ، فقط لأنني لم أصرخ مثل آرميا ؟ أنا أفعل ما يمكن فعله !

هنري : هذا ليس كافياً . افعل المستحيل . هذا ما تطلبه من الناس في محاضراتك . لكنك ، أنت ، لا تؤمن فعلياً بأي كلمة تقولها ، أليس كذلك ؟ أنت تعبر نيوانكلند من أقصاها ، تمشي إلى المقر بتلك الابتسامة الرضية ، تقبل مصافحة رؤساء البلديات والتصفيق المهذب للسيدات العجائز . وتتابع انشاد مواعظك الباهتة .

والدو : ما أقوله ليس باهتاً !

« تدخل ليديان، جذبتها اصواتهم المرتفعة النبرة»

هنري : حسناً ، تطلق أحياناً كثيرة صرخة معركة . لكنك أنت ـ أنت نفسك ـ ترفض سماعها .

والدو : **« بتضايق شديد »** .
انت رجل صعب جداً !

هنري : حسناً . إن العالم مليء جداً بالرجال السهلين .

والـدو : هل تريدني أن أخرج مدافعاً عن العنف والتمرد

هنـري : أطلب منك إيقاف العنف . أما بالنسبة للتمرد ،
وهل تظن أن هذه البلاد قد فقست من بيضة
نصف مسلوقة ؟؟؟
((**يومىء**))
انظر حولك في كونكورد ، ماذا ترى ؟ لقد صرنا
كل ما تمردنا سابقاً ضده !

والـدو : وماذا تقدم أنت أيها الشاب ؟ تسحب الغابة
فوق رأسك .
تقدم استقالتك من العرق البشري . وهل
استطاعت جميع مراميطك ، بكل حكمتها ،
إنقاذ حياة هنري وليمز ؟ هل ستتشق سمكاتك
الطرقات ، تبني المدارس وتطفىء الحرائق ؟
((**توقف هنري للحظة دون جواب جاهز**))
آه بسيط جداً لناسك أن يبقى بعيداً ، منعزلاً ،
ويعلن ما ينبغي أن تكون عليه الأمور بدقة .
ولكن ماذا لو فعل الجميع ذلك ؟
أين ستكون وقتها ؟

هنـري : وأين نحن يا والدو ؟

والـدو : نحن في الحرب ، أنا مدرك لهذه الحالة .

هنـري : وهل أنت تدرك الأسباب ـ مالكو العبيد يطمعون بمزيد من أراضي العبيد ؟ مزيد من العبودية ، وقليل من الحرية ، وهل هذا ما تريد ؟

والـدو : يا هنري ، يجب أن نعمل ضمن أطر القوانين . نهاية الحرب ـ ظروف السود ـ هذا هو عمل الرئيس . والكونغرس .

هنـري : وهل تصدق ذلك فعلياً ؟ عندها أنا على خطأ . كنت أعتقد أن لديك القرف نفسه الذي عندي مما يقوم بـه العسكر . إذا كـان كل ذلك لا يزعجك ، فأنا عندها لا بد أنني ارتكبت خطأ .

« وبتهكم مرير »

لديك كل الحق بالبقاء هادئاً . سوف أعود الى الغابة ـ وأدعك بسلام مع حربك .

« والدو في تألم حقيقي . ينظر الى زوجته »

حسناً يا ضميري الشاب . ماذا عليَّ أن أفعل ؟

هنـري : أعلن موقفك بصراحة !

« توقف آخر »

والدو : سوف أفعل ذلك حتماً . في المرة القادمة عند حصول فرصة ...

هنري : ((**بعنف**))
الآن ! منذ عام مضى كان متأخراً جداً ! سوف اجمع لك مستمعين . بعد ظهر هذا اليوم . في ساحة كونكورد !

((يخرج هنري بخطى واسعة من الضوء . ينظر والدو باضطراب الى ليديان. تبتعد الإضاءة عن إمرسون. يسقط حبل الجرس من النوسان مع توجيه الإضاءة على البروز. يقفز هنرى الى الأعلى. يمسك الحبل ، ويهزه . ويجلجل الجرس من فوق مردداً الأمر واخذ الناس بالتجمع ، متسائلين بفضول وإثارة))

مزارع : ((**راكضاً**))
هل هناك حريق في مكان ما ؟

امرأة : ما الأخبار ؟ هل انتهت الحرب ؟

سام : ماذا تفعل هنا يا هنري ؟ ماذا يجري ؟

((تتزايد الأصوات اختلاطاً وقوة مع تزايد عدد المحتشدين . يفلت الحبل بينما يتخامد الجرس الهزاز))

هنـري : الدكتور إمرسون قادم ليتكلم . لقد وعد باعطاء تصريح !
الآن ، هنا في هـذا المكان . فهو لا يستطيع الانتظار !

الأم : « باندفاع »
آه ، دافيد هنري ! هـل جئت لتغضب الناس من جديد ؟

مزارع : هل هو قادم ليقول شيئاً ما أم ليعطي موعظة ؟
« يضحك هنري بمرح »

هنـري : كلا الأمرين ! باذن الله !
« ويتجمع الآخرون »

سـام : الدكتور إمرسون سوف يتحدث الآن ؟

هنـري : تركته للتو هو في طريقه الى هنا .
« هناك ثرثرة مليئة بالتوقعات . ورجل واحد ربما كان الصحافي في المنطقة يسحب إضمامة أوراق ، ويتجهز الكتابة »

صوت : من دون أن ندفع تكاليف المحاضرة ، أيضاً ؟
« بعد توقف قصير منتظرين ، يبدا الحشـد بالتململ »

امــرأة : حسناً ، أين هو ؟

« بدأ عدد من المحتشدين بالمغادرة.وخبأ المراسل إضمامة الأوراق »

هنــري : **« بثقلة »**

لا تقلقوا ! هو قادم ، سيكون هنا !

« تدخل ليديان ببطء ، رأسها الى الأسفل . يتراجع الجميع لإفساح الطريق لها . تقترب من هنري وبصمت تنظر في وجهه . وتسعل »

ليديان : طلب الدكتور إمرسون أن أخبرك ...

هنــري : **« بشحوب »**

نعــم ؟

ليديان : يقول بأنه يلزمه وقت أطول للتفكير بهذه القضايا. ليتمكن من كتابة مقالة يضمنها موقفه بدقة .

« هنري لا يتحرك ، يحدق في وجهها فحسب »

هنــري : وكلف زوجته بالعمل السعيد والقدوم الى هنا لإخبارنا ؟ يا له من عذر مثل عذر عاجل يصل مدير المدرسة (آسف جداً ، لا يستطيع جوني المجيء الى المدرسة اليوم لأنه مصاب بالخناق)

ليديان : **« تشارك اليديان هنـري مشاعره لكن ولاءها لزوجها لا يهتز »**
والدو يريد تجميع أفكاره .

هنـري : **« بغضب »**
ما هذا ، شتاء قناعاتنا ؟ الى أن ينهي (تجميع أفكاره) سوف تموت جميعها تحت الثلج مثل الهندباء البرية .

مزارع : جيد ، جئنا راكضين الى الحريق ، لكـن لم يضرمه أحد . فعلها هنري .
« بينما يبتعد الحشد ، يحدق هنري بليديان. ويستدير ببطء عنها وياخذ بالابتعاد »

هنـري : **« هازاً راسه »**
يا إلهي ، لقد كان معبودي ! لا أكثر ولا أقل !
وإذا كان هو الله أنا الشكاك !

ليديان : لماذا تستمتع بإيذائه ؟

هنـري : **« يستدير نحوها »**
إنه هو يؤذيني !
« كلاهما يتكلـم في الوقت نفسه ، ويتداخل كلامهما . »

ليديان : إنه يهتم بما تفكر به ، لذلك يزداد حساسية ويبالغ في تحميل نفسه ـ ـ

هنـري : يتعامل بتنازل . وأنا لن أجلس عند قدم منبر وعظـة !

ليديان : عندما يتحدث إليك ـ ـ

هنـري : هو لم يتحدث إليّ أبداً ! وهل كان يتحدث إليّ التلوه الآن ؟
((**بمرارة**))
لقد كان في انكلترا ، يتحدث مثل الأساقفة مع كارليل !

ليديان : أنت توسع المسافة ـ

هنري : الحديث مـع زوجك عديم الجدوى . في محاولة الحصول على محادثة عاقلة معه ، أضيع وقتي، وهويتي تقريباً ـ ـ ـ

ليديان : اصغي لكليكما . أنت تشاحن وتخاصم مثـل أطفال في مباراة الكريكت .
يتضاربون ويتدافعون ويترافسون ـ ليس من أجل الفكرة ، يلعبون ليربحوا فقط !

هنــري : ((ببرودة))

زوجك يا سيدة إمرسون ، جنتلمان لســوء حظه ، مشهور ، غارق في نجاحه الخاص .

ليديان : اقرب صديق لزوجي لا يعرف حتى من يكون زوجي ! لقد رسمت فكرة محددة في ذهنك ، رسمت والدو متخيل ـ بالطريقة التي تريده ان يكون وليس كما هو . أرجوك يا هنري ، أعطه الحرية نفسها التي يعطيك هو إياها ـ لتكون ما أنت .

((يخفض هنري نظره . ذهب الجميع الآن . كانت ليديان تود أن تقول له)) :

((آسفة، يا هنري، بودي لو استطيع مساعدتك . ـ لكنها لم تقل .))

((ابتعدت ليديان بسرعة . نظر هنري حوله في الساحة الفارغــة التي كانت قبل قليل تضج بالناس .))

هنــري : ((يصرخ))

يا مواطني كونكورد ـ !

((لكنه يكلم الريح . محبط ، يبحث عن سبيل للوصول الى آذان جمهور أخرس .

يرى حبل الجرس المتدلي ، يقفز ليقرعه ــ وعلى الرغم من أنه كان يهزه بكامل وزن جسمه، فانه لم يصدر أي صوت كان ! الجرس لا يقرع! وبانذهال ، يسحب الحبل باهتياج أشــد . لا شيء . »

كيف نخلق صوتاً ؟ كيف نكسر هــذا الصمت اللعين ؟

« تبتعد الأضواء عن هنري المحبط والمغموم . ويتلاشى حبــل الجرس الى ذبذبات . يلقي بنفسه على سريره في الزنزانة . تصير السماء حمراء . وتظهر السماء كأنها تتمزق الى اجزاء عبر الترذذ المخــدر الشظايا قذائف منفجرة . يزمجر طبــل مطوق بإيقاع عسكري . عازف الطبل يتابع المسير ، يستدير بجبهته الأنيقة . الوجه هو وجه ادوارد إمرسون . يأتي رقيب ، في بزة عسكرية فيدرالية لسنوات الأربعينــات من القرن الماضي . إنه سام ستابلز . »

الرقيب سام : «كما لو أنه يدرب القوات »

أمام الى المكسيك .... سر !

ابفض ــ اثنين ــ ثلاث ــ أربع !

ابغض ـ اثنين ـ ثلاث ـ أربع !

ابغض ـ اثنين ـ ثلاث ـ أربع !

« ينخس الرقيب بيلي بقفا بندقية ويوقظه . يقفز بيلي باستعداد . يضع الرقيب عمرة عسكرية على راس بيلي ويضع بندقية بين يديه . يسير بيلي حول البروز بخطوات غير مضبوطة على وقع الضربات المعاندة للطبل . والفلاح ، مرتدياً البزة العسكرية ، يصبح جزءاً من هذه الحملة الزاحفة . يظهر بول ، على كتفيه كتافيات جنرال وشريط ذهبي . يصعد على الصندوق . كما لو كان منصة وسط استعراض عسكري . »

الجنرال (بول) : « تحت إيقاع الطبل المطوق »

تعلم القتل !

تعلم القتل !

تعلم القتل !

عندها لن تقتل !

« هذا التتابع باكمله كان اشبه بكابوس متداخل ضبابي شبيه بكوابيس غويا Goya إنه walpurginacht رحلة سيئة مليئة بإختلاط

سريالي للهاوسات . الزمان والمكان والأصوات جميعها مشوهة وموروبة . »

بيلـي : « خـارج الإيقـاع »
انا لا اريد اطلاق النار عليهم ، لم يسيئوا لي !
« يستدير الجميع نحو بيلي »

اصوات مختلفة : جبان ! متهرب ! خائن ! فار !

الجنرال (بول) : همجي !

الرقيب (سام) : متشرد !
« يدوي انفجار عظيم لقذيفة مدفـع ، ينبطح الجميع على بطونهم . صرخات وفوضى . »

الجنرال (بول) : « مشيراً الى هنري في سريره »
لماذا لا يستلم ذلك الرجل بندقية ؟

الرقيب (سام) : « يمسك كتف هنري ويهزه »
استيقظ يا هنري . لدي شيء هنا من أجلك .
استيقظ !

هنـري : لا اريده !
« لكن الرقيب يدس بين يديه بارودة . ينهض هنري على قدميه منهولاً كما لو أنه يسير تحت

المخدر . يمسك البندقية على بعد ذراعه بقرف . »

الجنرال (بول) : هدف هذا العمل هو منع العدو عن حماية نفسه من العدو .

هنـري : « **بتحدٍ يائس** »
لن اذهب !

الأم : هاكم فتى جيد ، دافيد هنري ! يعمل الشيء الصحيح دوماً حتى لو كان على خطأ .
« **يستمر قرع الطبل ويزداد غضباً . لكن هنري يتحرك بشكل غير إيقاعي ويسير بخطوات لا تتزامن مع خطوات البقية .** »

الرقيب والعساكر : « **بصوت أقرب الى الفحيح** » .
إكره ــ اثنين ــ ثلاثة ــ أربعة !
إكره ــ اثنين ــ ثلاثة ــ أربعة !
« **يظهر الرئيس في معطفه الصباحي والبنطال المقلم . إنه والدو** »

الجنرال (بول) : سيدي الرئيس ، ينصح العسكر بأن نحتل الأرض باكملها .

ندمر كل شيء ونساويه بوجه الأرض ! هل أنتم جاهزون للسير ؟

جميع الأصوات : ((بنوع من الطرب الشيطاني))
تقـــدم !
تقـــدم !
تقـــدم !
تقدم !

((تقدم هنري إلى الرئيس . يحاول الكلام ، يكون مهتجاً وملحاحاً ، لكنه لايخرج من فمه أي صوت على الرغم من أن فمه يتحرك)) .

الرئيس (والدو) : ((يكلم الجنرال بفطرسة)) .
هل يقول هذا الرجل أي شيء ؟ لاأستطيع سماعه .
((يحاول هنري إيقاف سير الآخرين ، واحداً تلو الآخر ، لكن لايعيره أحد أي انتباه)) .

الجنرال (بول) : ماهي تعليماتك ، سيدي الرئيس ؟

الرئيس (والدو) : يلزمني وقت أطول لإستجماع أفكاري .
لذلك سوف أعين لجنة لتعين لجنة لتعين لجنة .
((هتافات وتهليل))
حتى نصل إلى القاع، بحيث تعرف القمة ماالعمل !

« يتقدم جندي مكسيكي داكن البشرة [وليمز] يحمل علم مكسيكي » .

الرقيب (ستابلز) : هاهو يافتيان ، إنه العدو !
« تتوجه جميع البنادق صوب المكسيكي ، وهو أشبه بحيوان وقع في فخ » .

هنري : « يصرخ »
اركض ، ياهنري وليمز ! انج بنفسك !
« يقفز الجندي المكسيكي [وليمز] وسط القوات الفيدرالية،يندفع بطريق متعرج وسطهم ،رافعاً رايته . تطلق البنادق عليه ، وتخرج الطلقات بوحشية ، ويستمر الدخان بالتصاعد . بينما يقفز وليمز عبر البروز ويختفي » .

صوت : الزنجي القذر ! لقد هرب !

هنري : « بابتهاج »
نفــد !
« تستدير جميع القوات الفيدرالية تجاه هنري بشكل اتهامي . وفي الوقت نفسه تنتبه إلا أن قرع الطبل قد توقف . والطبال الصغير [إدوارد] سقط جريحاً على طبله . يركض هنري إلى الولد

الجريح ، يرفعه مثل المنتحبة . من ثم ينظر إلى الرئيس الواقف مثل تمثال [والدو] »

هنـــري : سيدي الرئيس ! لم يكن يرغب سوى قطاف توت العليق !

«لا يزال الرئيس راضٍ لاتؤثـــر فيـــه الفوضى والدخان »

الرئيس [والدو] : اقترحت كتابة مقال حصيف ، أوضح فيه موقفي .

« يستمر هدير المدافع وفرقعة البنادق . يرمي هنري بندقيته بعيداً عنه . يبحث في كافـــة الإتجاهات ، يناشد الهواء بيدين فارغتين » .

هنـــري : أرجوكم ! ليقل أحد ما شيئاً ما ! ليصرخ أحدما!

صوت غير مرئي : السيد سبيكر . السادة أعضاء الكونغرس !

« يتجمد كل شيء في مكانه على المنصة ، مهماكانت الوقفة الملتوية التي يقفها ، كما لو كانت لقطة مجمدة . ويصغي هنري بتركيز حيواني » .

بدأ الرئيس هذه الحرب غير الضرورية بطريقةغير دستورية ، وهو وحده يمكن أن يخبرنا الحقيقة ـ لكنه لا يقول الحقيقة كاملة . لقد دفع الحرب

أكثر فأكثر ، إلى حمامات من دم .إن عقله المرهق فوق طاقــة تحمله ، يقفــز راكضاً مثل حيوان معذب على سطح حارق !

« وبرجاء »

أوقف هذه الحرب ، ياسيدي الرئيس ! حبــاً بالله ، أوقف هذه الحرب !

« يبدأ شخوص ساحة المعركة بالحركة من جديد، حركة بطيئة متنافرة وغريبة ، كما لو كانت حركة غوص يائس في رمال متحركة . وترتسم على وجه هنري نظرة خلاص كبيرة : أخيراً تكلم أحد ما ! »

هنـــري : أنا لا أعرفك ، ياسيد عضو الكونغرس . لكــن أشك أن يعاود سكان إيلينوي انتخابك ، لأنــك رفضت الـ **« تقدم »** لكن أنا سوف أذكرك دوماً يا عضو الكونغرس لينكولن .

« تصل نيران المدفعية المصمتة ذروتها حجماً . وثمة ومضات عظيمة ، وتقوس لقذائف مدافع الهاون ورشرشات متقطعة للرصاص . وتشكل القوات الفيدرالية خط هجوم متهلهل من رجال المشاة . يوجهون بنادقهم إلى الأمام ويتحركون إلى الأمام ببطء ، يتقدمون من النظارة كما لو كان الجمهور من الأعداء . ويطوف هنري مرتعباً من المجزرة الوشيكة .

وتنفيذاً لأمر عالٍ وعميق من الرقيب سام ستابلز تأخذ جميع القوات وضعية الرامي جاثيـاً ، وتتمنكب بنادقها على أهبة الإطلاق . نشاهد من ثم وللمرة الأولى وجهاً مألوفاً في الصف الثاني من القوات المهاجمة ، إنه وجه جون أخو هنري، يرتدي الزي الفيدرالي الموحد والكامل . عندما يرى هنري أخيه يشق طريقه بين القوات راكضاً نحـوه » .

هنري : جون ! جون !

« ما أن ، يصل إلى جانب جون حتـى تنطلق رشة من الرصـاص . يصاب جـون بإحـدى الرصاصات ، يطوّح ذراعيه في السماء بألـم ، ويسقط . تتفرق القوات في جميع الاتجاهات. المنطقة خالية من الجميع عدا هنري وجون الذي يحتضر في ساحة المعركة يلفهما دخـان أسـود راكد ، يهدهد هنري ، المحطم تماماً رأس جون بين ذراعيه » .

لا تمت ! يا الله لا تتركه يموت مرة أخرى !

« تتوارى المنصة بالكامل تحت الظلام » .

« يقرع جرس البرج ســت قرعات . والفجـر يرسم عبر السماء خطاً باهتاً كئيباً . يبلي على

سريره ، هنري يرقد ملتوياً ، ينام بشكل غير مريح وقتها يدخل سام ستابلز ـ ليس كرقيب ـ مع أبريق وصحون قصديرية يضعهم فوق الصندوق. من الآن وصاعداً ،الجميع في الثياب المعتادة . يهز كتف هنري » .

سـام : استيقظ يا هنري . لدي شيء ما لك . استيقظ **« يتقلب هنري في فراشه ، فهو لا يزال نصف نائـم »** .

هنري : لا أريده .

سـام : حسناً ، والعصيدة أليست شيئاً ممتازاً .

هنري : **« يستيقظ متألماً »**
والكوكا الساخنة .
آه ، صباح الخير يا سام . صلو الصباح ؟

سـام : نعم . وهنالك باينت(*) من الشوكلا. هل سمعت الأخبار ؟

هنري : أية أخبار ؟

---

* باينت : مقياس للحجم يساوي ثمن غالون .

سـام : انتهى الأمر .

هنري : الحرب ؟

سـام : السلك الذي مدّوه مباشرة إلى تكساس . الآن صار يعمل . من نيويورك يمكن لأي شخص إرسال كلماته بالكهرباء ـ وبالسرعة التي يتحدث بها .

هنري : ((**بينما يرتشف شوكلاته بتفكير**))
لكن يا سام ، ماذا سيحدث إذا لم نجد أحداً في نيويورك لديه أي شيء ليقوله إلى أي كان في تكساس .

سـام : فكرت يمكن أن تكون سعيداً بسماع هذا الخبر ، وحسب . شيء آخر ـ أوه ـ
((**يسعل**)) .
ـ أوه ـ يمكنك أن تغادرنا يا هنري . في أي وقت تشاء .

هنري : أغادر ؟

سـام : خلال الليل سدّدت الضريبة المستحقة عليك .

هنري : ومن فعل ذلك ؟

سام : لا يسمح لي البوح بإسمه .

هنري : والدو ! هل الدكتور إمرسون دفعها ؟

سام : لا يا سيدي .

هنري : أمي ؟

سام : لا .

هنري : انت إذاً ؟

سام : انا قد عرضت ، يا هنري . وأنت رفضت بوضوح .

هنري : السيدة إمرسون . هل جاءت ودفعتها .

سام : والآن كف عن التحذير لإجباري على إخبارك . لقد وعدت خالتك لويزا بأنني لن أفتح ـ

هنري : ((باشمئزاز))

خالتي لويزا !

((يبدأ بيالي بالتحرك))

انا ملعون بإحسان خالتي !

« منادياً بعيداً عن المسرح إليها »

يا خالتي لويزا ، لماذا لا تبعدين أنفك وأسنانك الكاذبة من حياتي !
وأنا بمقتضى ذلك أحرمك من درب اللبانة !

« سام يفتح بوابة السجن بهزه ، يناول هنري الورقــة » .

ســام : ظريفاً أنك كنت معنــا ، يا هنــري . ها هــو الإيصــال .

« يتجاهل هنري الورقة »

هنري : لا أريده. لا يمكنك اتهامي بأنني سددت ضريبتي!

ســام : لقد سددت .

هنري : ليس من قِبلي . لا ازال مذنباً .

« يجلس هنري على سريره ، بعناد »

ســام : يا هنري ، لا يملك أي إنسان الحق بالبقــاء في السجن إذا لم تكن هناك تهمة ضده . حتى إنني لا أستطيع أن أجلب الغداء لك .

بيلــي : **« بشيء من الحزن »**
أنت خارج الآن ؟

سـام : نعم خارج !

هنري : لا !

سـام : القانون وضعك هنا . والقانون هو من يقول متى تكون في الخارج .

بيـلي : سيخيم هدوء عظيم هنا ....
((يحدق هنري على بيلي بتركيز))
ما الخطأ ؟

هنري : **((برقـة))**
كل شيء على خطـأ ــ عندما يفكر المرء بنفسـه فقـط .
((بحدة مع سام))
يا سام ، أنت تعرف ما تعنيه Quidprosuo (*) ؟

سـام : **((بتألم))**
هذه عبارة من عبارات هارفورد ؟

هنري : هذه العبارة تعني بأنه إن حاولت أن يتقدم بيلي إلى المحكمة الآن ، وليس بعد ثلاثة أشهر أو ثلاثة

---

* Quidprosuo : الشيء بالشيء .

أسابيع أخرى إنما الآن حالاً ـ عندها سوف امنح قانونك الشرف بالخروج إلى رصيف المشاة . ولا تحاول قبل ذلك .

سام : هذا ليس ضمن صلاحياتي. أنا لا أصدر قرارات مثل هذه .

« يعود هنري إلى سريره ، يسحب البطانية فوقه » .

هنري : تصبح على خير يا سام .

سام : **« بتالم وحيرة »**
صار الصباح يا هنري .

هنري : إنما ليس بالنسبة لي. إلى أن تفرجون عن بيلي.

سام : سأعمل كل ما أستطيع . سوف أكلم القاضي والمدير .

هنري : قل لهم ما لم يتقدم السيد بيلي إلى المحكمة الآن، سيكون لديهم ضيف أكول ، وغير دقيع آخر في السجن ـ وبشكل دائم !

« يخرج سام ، متمنياً على ارجح لو كان جندي

في المكسيك . يتحرك بيلي . لا احد في حياتـه وقف إلى جانبه مثل هذا الرجل ، هنري » .

بيـلي : شكراً . لن أنسى ما حييت هذه الليلة ــ عندما أخرج ــ سأذهب لزيارتك إذا كنت لا تمانع ــ إلى بركتك .

« يعود صوت الناي ، لكن ليس هنـاك إسقاط للأوراق ــ فقط توهج متصاعد للفجر . توقف يتخذ هنري قراراً صعباً . يحـدق في البعـد تجاه والدن » .

هنري : على الأرجح لن أعود إلى « بركتي » يا بيـلي . يبدو لي أن لدي حيوات أخرى يجب أن أحياها . ولا أعرف إذا كنت أستطيع إدخار أي وقت من أجل الحياة تلك .

بيـلي : يبدو أنها كانت حياة مثالية تماماً .

هنري : هذه هي المشكلة إذا حدث وعشت هناك فتـرة أخرى ، يمكن أن أبقى هناك دوماً . فعليك أن تفكر مرتين قبل أن تقبل الفردوس مقابل شروط مشابهة .

« وبشكل مفاجىء » .

هـل حصـل لك وقمت برحلـة على قارب ، يا بيـلي ؟

بيـلي : على قارب نهري فقط .

هنري : عندما تشتري بطاقة لكابينة حجـرة خصوصية في رحلة بحرية عبر المحيط ، يمنحونك الحرية الكاملة على المركب . وهذه ميزة يجب إستغلالها . فالإنسان يجب ان لا يبقى طوال فترة الرحلـة رهين مكان واحد على ظهر المركب ، مهما كـان هذا المكان جافاً ومريحاً ودافئاً .

« ببساطة »

اعتقد بأن علي أن أطوف المركب بالكامل . أذهب أمام الدقل ! أقف في العراء على مقدم المركب !

« تلاشت معزوفة الناي »

يا بيلي حاولت الهرب . لكن الهرب مثل النوم . وعندما يكون النوم دائماً هو الموت .

« توقف . يتحـرك هنري يتقـدم إلى النافذة المتخيلـة في مقـدم المسرح بحيث تضيء أشـعة شمس الصباح وجهه . »

يجب أن أغادر والمدن .

« الكلمات مؤلمة بالنسبة له . يسير بيلي تجاه

هنري كما لو انه يريد مواساته رافعاً يداً تجاه كتفه ، بيلي عاجز »

ليس من الضروري أن تكون هناك لتكون هناك .

« يتحرك بيلي الى النافذة ، يجذبه الضوء المتزايد إشعاعاً على وجه هنري . ينظر الى الخارج بخشوع . »

بيلي : صباح ساطع . سيكون نهاراً تموزيا رائعاً في الخارج .

هنري : يصير الضوء أحياناً ساطعاً جداً بحيث يطفىء أعيننا . وعندها يخيم الظلام التام من جديد . إذا بقينا مستيقظين ، سيطلع الصباح . أن تكون حياً يعني أن تكون متيقظاً .

« يرفع نظره . السماء فعلياً مشرقة بضوء الشمس الساطعة الآن »

لا يزال ثمة يوم آخر للفجر . الشمس نجمة الصباح لا غير .

« يصافح بيلي ، يهم بالخروج ، يتذكر شيئاً ما حذاءه . يأخذه ويلوح به لبيلي مودعاً . »

« وعلى البوابة ، يتوقف هنري ، يحدق النظر بحدة .

ومن البعيد ، يُسمع قرع طبال غير عسكري ومختلف الإيقاع .

يتحرك الى ساحة الكونكورد المتوهجة باشعة ضوء الصباح . فجاة قرعات الطبل تاتي من اتجاه مختلف ، تزداد قوة . تشبه هزيم رعد قادم من جميع الجوانب .

تتابع عيناه قوس السماء . تبدو إن قامته تكبر وترتفع وتتعزز بتحدٍ اكبر .

يلوح لبيلي الذي يرد على التلويح بحرارة من نافذة الزنزانة .

وبتصميم ، يقفز هنري من المنصة ويسير الى جناح المسرح صوب صوت قرعات طباله الخاص والمختلف .

لا تُسدل الستائر . ولا تُطفا الإضاءة ، إنما يزداد سطوعها .

وخلال ذلك يُعلن نهاية المشهد . وبينما يغادر النظارة المسرح ، يتزايد ايقاع طبل هنري غير النظامي والمميز قوة ويتردد ذلك الصدى . »

– إنتهت –

ملاحظات كاتبي المسرحية حول انتاجها

ما يعطي المسرحية شكلها : هو قرار ثورو بالعودة الى الجنس البشري : أي إنتقاله من حالة الإنسحاب بعيداً عن البشر تجاه العودة إليهم ، ورحلته من الزهد الى الوعي الإجتماعي . هذا هو النص الضمني الذي يسري داخل المسرحية ، وعلى المخرج والممثل أن يكشف هذا التطور حتماً ، وبشكل بطيء مثل زهرة تتفتح .

كانت الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تجربة صوفية غامضة بالنسبة لهذا الرجل ذي الحساسية البالغة . فبينما كان يرزح في السجن كانت له حرية استكشاف ذاته الحقيقية ، وحقيقة تجاربه بالاضافة الى الماضي واستشراف المستقبل . وهذه التجربة هي نوع من الوجد ، « العاطفة »، والكشف والتلخيص لحياته على المنحي الزمني الذي يبدأ بغروب الشمس وينتهي بشروقها .

ثورو الذي تقدمه هذه المسرحيةليس ذاك الرجل الملتحي، ذي العينين المتعبتين ، الذي نراه هذه الأيام على الطوابع

البريدية . بل هو هذا المعاصر المتألق ، حليق الذقن والمفعم بالنشاط والنقمة على جنون حضارته وتفاهتها من حوله . وغرض هذه المسرحية الوصول الى أعمق من الكلمات التي كتبها ، لسبر الإضطراب العظيم الذي غرف كلماته منه .

إذا ما كان ثورو ثورياً ، فإن ثوريته كانت بتلك الروح التي تمتع بها قبله بأربعة عقود أولئك الذين تخيلوا ولايات متحدة لا يحظى فيها الحفاظ على النظام القائم على ايـة قداسـة تتعدى قداسة التغير الحلزوني المرجو . وخـلال الليلة التي قضاها ثورو في السجن ، أدرك أن انشودة والدن wolden الرعوية كانت فعلت فعلها فيه ، وشروق الشمس ينبجس بتحديات جديدة .

وأفضل ما يمكن عمله لدى تقديم هذه المسرحية هو الأخذ بنصيحة ثورو نفسـه : « بسـّط ! » فبقدر ما يمكن الحذف مما هو جسدي وملموس ، بقدر ما يستطيع جمهورك الإسهام أكثر في عملية التخييل . فهذه المسرحية ليست عرضاً مملاً لحياة انسـان واحد في مكان واحد وخلال ليلة واحدة . ونحن لسنا مقيدين بـ « الفلاش باك » أو عمليات الإسـتذكار . ولا بد من تشجيع جميع شخوص المسرحية ، بمن فيهم النظارة ، على المشاركة في وليمة التخييل هذه .

إن الثوروية(*) هي ما يجب أن يأتي به الى المسرحية كل من يتعامل معها وهي أيضاً ما يجب أن يستمده منها ، بوصفها شيئاً يخصه على نحو فريد .

١٩٧٠

جيروم لورنس و روبرت لي

* * *

(*) الثوروية : نسبة الى ثورو (م)

كلمة لابد منها

تتناول مسرحية ((الليلة التي امضاها ثورو في السجن))
حالة العصيان المدني الأول في التاريخ الأمريكي وربما الأكثر
شهرة ـ رفض ثورو دفع ضريبة الرؤوس ـ وهي ضريبة
تفرض على كل شخص بالغ ـ عام ١٨٤٦ . والليلة التي
امضاها في السجن بسبب هذا الرفض .

يصير مشهد السجن إطاراً عاماً لتلك الفترات المليئة
بالاحداث من حياة ثورو : من علاقته بالشاعر إمرسون الى
اعتكافه للتأمل على ضفـاف بحيرة والدن Walden pond
وقضية حبه غير الموفق .

وكمـا يقول لورنس ولي عن المسرحيـة بانها حكاية
((الترحال الطويل لروح انسان خلال ليلة واحدة ـ من
اعتكافه وتنسـكه حتى انضمامه مـن جديد الى الجنس
البشري . إنها نشوة وعاطفة وتجوال . دفاع عن المعارضة
اللاعنفية وبحث عن الحقيقة الشخصية . ويعتبر هنري

دافيد ثورو بطلاً شعبياً بين شباب اليوم ، فلقد صرخ ضد الحرب ، وضد تلويث الطبيعة وضد سطوة المادية .

ويشبه رفضه دفع الضريبة لدعم ما كان يعتبره حرباً لا اخلاقية (الحرب مع المكسيك) الى حد كبير صرخات شباب اليوم في امريكا والعالم اجمع .

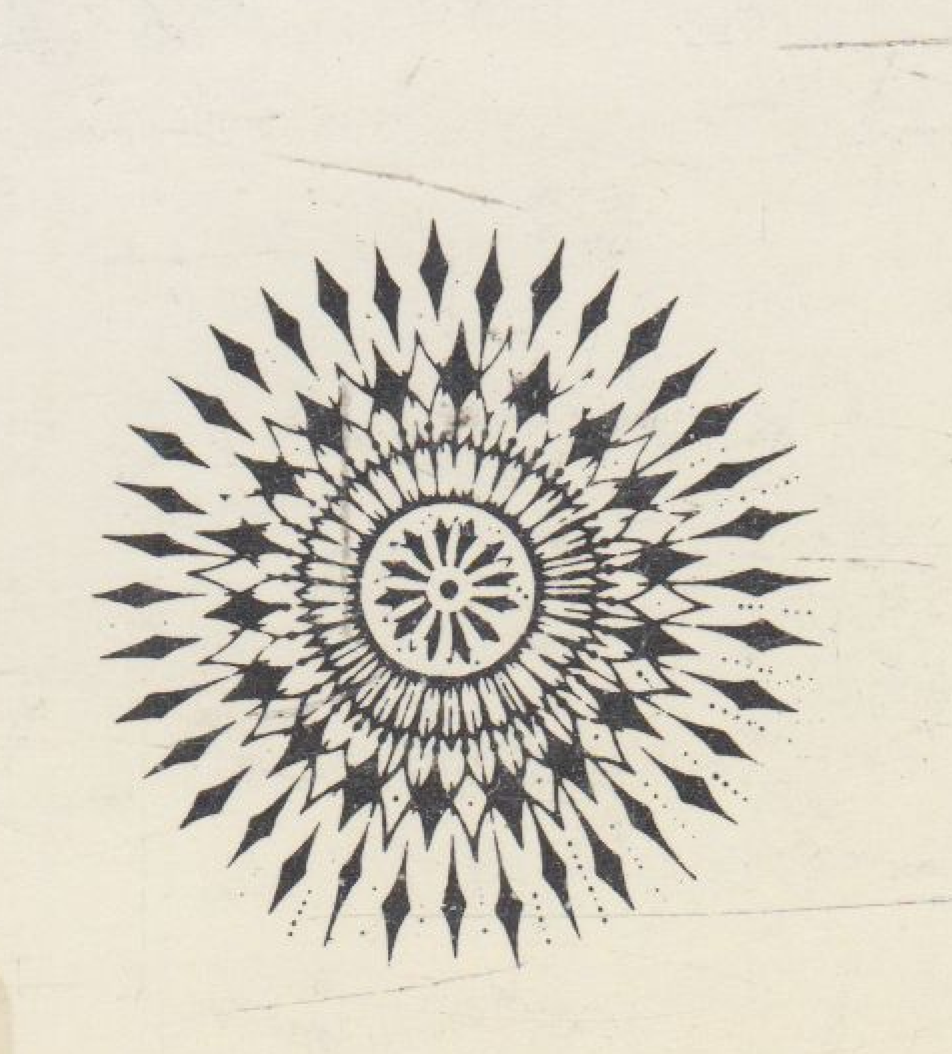
إن « الليلة التي امضاها ثورو في السجن » هي المسرحية الثالثة عشر التي انتجها جيروم لورنس و روبرت لي .

* * *

الفهرس

المقـدمـة	٣
شـخصيات المسرحيه	١٣
ثـورو الراهـن	١٥
الفصل الأول	١٩
الفصل الثـاني	١٣٥
ملاحظات كاتبي المسرحية حول انتاجها	١٩١
كلمـة لا بد منهـا	١٩٤

٢٠٠٠ ط١ / ١ / ١٩٩٨



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٨

سعر النسخة داخل القطر — في الأقطار العربية

٧٥ ل.س — ١٥٠ ل.س